دراسة في فكر إخوان الصفاء السياسي

المقدمــة :

من البديهي أن الفكر السياسي لم يكن وليد اليوم ، بل هو حصيلة جهد إنساني بدأ منذ اللحظة التي لجأ فيها إلى الحياة الاجتماعية بعد ما شعر بأهمية التعاون مع الآخرين ، فأخذ يفكر بطريقة منظمة تحدد سلوكه تجاه الغير وفي الوقت نفسه تفرض القيود على تصرفات الناس بحيث لا يتعدى بعضهم على حق البعض ، وهذه الأمور لا تحصل ما لم يتولَ شخص قيادي أو مجموعة أشخاص لهذه المسؤولية .

وهنا أخذ الإنسان يفكر بالرئيس والصفات الواجب توافرها لديه ، والدولة ، والقانون ، وقضية الالتزام به ، وما يترتب من عقوبات جراء الخروج من القوانين . فهذه القضايا شغلت الذهن الإنساني وفي مختلف الشعوب والحضارات ففي العراق حضي هذا الأمر باهتمام واسع عند البابليين والسومريين والأكديين . كما اهتم الصينيون والفرس والهنود والإغريق والرومان .

وجدير بالذكر إن الفكر السياسي لم يكن وقف على الساسة وأصحاب القرار بل نال مكانة عظيمة عند الفلاسفة وفي مختلف العصور . عند اليونان نجده مع السفسطائيين وسقراط (٤٦٩ – ٣٩٩ ق . م) وأفلاطون (٤٢٧ – ٣٤٧ ق . م) وأرسطوطاليس (٣٨٤ – ٣٢٢ ق . م) وفي الفلسفة الإسلامية تتضح جهود الفارابي وإخوان الصفاء وابن باجة وابن خلدون حيث أضفوا صبغة إسلامية على الفكر السياسي وأدخلوا مصطلحات جديدة لقاموس الفكر السياسي ، كاجتماع الملك والنبوة لبعض الأنبياء ، والخلافة والإمامة . . . الخ . وفي الفلسفة المسيحية ظهرت جهود القديس أوغسطين (٣٥٤ – ٤٣٠ م) والقديس توما الاكويني (١٢٢٥ – ١٢٧٦م) حيث أصبح للسياسة مفهوماً دينياً . ولا ننسى جهود فلاسفة الغرب كمكيافيللي (١٤٦٩ – ١٥٢٧) وتوماس هوبز (١٥٨٨ – ١٦٧٩) وباروخ سبينوزا (١٦٣٢ – ١٦٧٧) وجون لوك (١٦٣٢ – ١٧٠٤) وهيجل (١٧٧٠ – ١٨٣١) وكارل ماركس (١٨١٨ – ١٨٨٣) وبرتراند راسل (١٨٧٢ – ١٩٧٠) وغيرهم من الفلاسفة .

ونظراً لأهمية الفكر السياسي وجدنا من المناسب تقديم دراسة حول هكذا موضوع متخذين من إخوان الصفاء أنموذجاً، تلك الجمعية السرية والنحلة الدينية التي نشأت في البصرة ، وانتشرت في بغداد حيث قدمت رسائل شملت جوانب المعرفة المختلفة . أما سبب اختيارنا لهم فوراءه سببان هما : إحياء تراثنا العربي والإسلامي أولاً، وثانياً: أن من يقرأ رسائلهم يجدها مليئة بالأفكار السياسية ، لكنها مبعثرة على مدار رسائلهم الإحدى والخمسين وهذه الآراء لا تُفهم على وجه الدقة عند مطالعتها للوهلة الأولى ، فهم قد يؤكدون مسألة في رسالة معينة ولكنهم يرفضونها في أخرى ، بل تصل الأفكار عندهم حد التناقض ، ناهيك عن استخدام الطريقة الرمزية للتعبير عن بعض الأمور السياسية ، فأردنا تقديم رؤيا واضحة لفكرهم السياسي معللين هذه الالتباسات موضحين دوافع تعمدهم لهذا الغموض والتضارب بالآراء ، وهي مهمة على كل حال لا تخلو من الصعوبات والمشقة ، آملين حسن القبول والله ولي التوفيق . وانطلاقاً من

الأسباب التي بيناها أعلاه نقدم هذه الدراسة التي افتتحناها أولاً بموضوع أنواع السياسات – وموضوع الدولة ثانياً، والمدينة الفاضلة ثالثاً، وبآرائهم ومواقفهم السياسية رابعاً، محددين حقيقتها خامساً.

أولاً : - أنواع السياسات

عُـرف عن الإخوان إنهم قسموا العلوم التي يتعامل معها البشر إلى ثلاثة أجناس هي : الرياضية ، والشرعية الوضعية ، والفلسفية الحقية . وأدخلوا السياسة ضمن العلوم الفلسفية التي قسموها إلى ثلاثة أقسام رئيسية أيضاً هي : الرياضية ، والمنطقيات ، والطبيعيات ، والإلهيات [١] : ولو سألنا عن السياسة ضمن أي حقل وضعت ؟ لكانت الإجابة ضمن الإلهيات التي تتمثل عندهم بخمسة علوم : أولها علم معرفة الله ووحدانيته وصفاته ، وكيف هو علة للموجودات وخالق للمخلوقات . . . الخ والثاني علم الروحانيات ، الثالث علم النفسانيات ، الرابع علم السياسة ، الخامس علم المعاد [٢] وهكذا كان علم السياسة رابعاً من حيث التصنيف عندهم حيث أدخلوا هذا العلم العملي ضمن الإلهيات فهم على حد تعبير مصطفى عبد الرازق إنهم لا يقسمون العلوم الفلسفية إلى نظرية وعملية ، بل أدخلوا القسم العملي بالإلهيات ، وأدخلوا في علوم الفلسفة ما لم يدخله من قبلهم من السياسة النبوية والمعاد [٣] .

أما أنواع السياسات عندهم فكانت خمسة أنواع رئيسة تتمثل بالسياسة النبوية ، السياسة الملوكية ، العامية ، الخاصة ، الذاتية .

١ – السياسة النبوية : - هي التي يختص بها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم ، تتمثل بمهام دينية وشرعية وأخلاقية حيث تتعلق بوضع النواميس المـُرضية والسنن الزكية بالأقاويل الفصيحة ، ومداواة النفوس المريضة من الديانات الفاسدة والآراء السخيفة . وسياسة النفوس الشريرة وتخليصها من العادات الرديئة والأفعال الجائرة وإيضاح زيفها بالحْمية لها من العود إليها باستخدام شتى الطرق من ترهيب وترغيب وزجر وتوبيخ ووعيد إلى أن ترجع نفوس الناس الى سبيل النجاة وتنتبه من طول الرقاد ونسيانها ذكر المعاد [٤] وهي أعلى أنواع السياسات لأن النبوة أعلى درجة وأرفع مرتبة ينتهي إليها حال البشر مما يلي رتبة الملائكة [٥] فضلاً عن ذلك فان من يتولى هذا المنصب هم واضعي الشرائع وليس أعلى منها منزلة لا علم ولا صناعة ولا تدبير ، فهي أسنى العلوم درجة وفي الآخرة أكثر ثواباً وبأفعال الملائكة أشد تشبهاً وإلى الله أقرب ولرضاه أبلغ ، ومن خصائص هذه السياسة إنها رياسة [٦] روحانية يملك بموجبها أصحاب الشرائع أرواح الناس بالعدل والإحسان والتمسك بحفظ الشريعة وإقامتها بإخلاص لنيل الثواب والفوز والنجاة ونيل السعادة في المعاد [٧] .

وهذه السياسة احتلت مكانة رئيسة عندهم بل كانت من أكثر القضايا تفصيلاً فتطرقوا لعدة مواضيع هي : صفات واضع الشريعة ، وما يجب عليه فعله تجاه الرعية ، وما على الرعية التزامه .

أما عن صفاته فقد اشترطوا بداية توافر اثنتا عشر خصلة يجب أن يكون قد فطر عليها حيث أجملوها بما يلي :

أن يكون فطناً ذكياً ذا رأي يكفيه لتبين أدنى دليل ، حتى إذا رأى على شيء أدنى الدليل فطن إليه على الجهة التي يدل عليها . أن يكون حسن العبارة يواتيه لسانه على ما في قلبه وضميره بأوجز الألفاظ . أن يكون محباً للعلم والاستفادة منقاداً له سهل القبول بحيث لا يؤلمه تعب العلم ، ولا يؤذيه الكذب الذي يلحقه .

أنيكون محباً للصدق وحُسن المعاملة مقرباً لأهله . أن يكون غير شره في الأكل والشرب والنكاح ، متجنباً للعيب ، مبغضاً للذات الكائنة عنها . أن يكون كبير النفس عالي الهمة محباً للكرامة ، تكبر نفسه بالطبع عن كل ما يشين من الأمور ويشنع ، بل وتسمو همة نفسه إلى أرفع الأمور رتبة وأعلاها درجة . أن يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هينة عنده زاهداً فيها . أن يكون محباً للعدل وأهله ، مبغضاً للجور والظلم وأهله ، يعطي النصفة لأهلها ، ويرثي لمن حل به الجور ، ويكون مواتياً لكل ما يراه حسناً جميلاً عدلاً، غير صعب القياد ، ولا جموح ، إن دعي الى الجور لا يجيب . أن يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى انه ينبغي أن يفعل ، جسوراً مقداماً، غير خائف ولا ضعيف النفس [٨] .

ولو تأملنا هذه الصفات لوجدناها نفسها التي ذكرها قبلهم الفارابي في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة حيث اشترط ضرورة توافرها برئيس المدينة ، والإخوان ذكروها وبالحرف الواحد ، فهم قطعاً أخذوها من أبي نصر [٩] .

وبمقابل هذه الصفات اشترطوا ضرورة توافر خصال أخرى أجملوها بنيف وأربعين خصلة من فضائل البشرية ، وأن أبرز صفة تميز النبوة هي الوحي والإنباء من الملائكة ، وإظهار الدعوة في الأمة ، ثم تدوين الكتاب المنزل بالألفاظ الوجيزة ، وتبيين قراءته في الفصاحة ، ثم توضيح تفسير معانيه ، وبلوغ تأويله . ثم وضع السنن المركبة ومداواة النفوس المريضة من المذاهب والآراء والأخلاق والأعمال القبيحة ونقلها الى الحسنة ، فضلاً عن إجراء السنة في الشريعة وتوضيح المنهج في الملة وبيان الحلال من الحرام وتفصيل الحدود والأحكام في أمور الدنيا جميعاً مع ضرورة التزهيد في الدنيا وذم الرغبة بها مع تفصيل أحكام الخاص والعام وما بينهما من سائر طبقات الناس [١٠] .

ومن خصال النبوة أيضاً الرؤية الصادقة والتي تعد جزءاً من ستة وأربعين جزء من أجزاء النبوة [١١] وأن يكون واضع الشرعية مراعياً لأهل دعوته بمختلف طبقاتهم ومستوياتهم ذكوراً وإناثاً، البعيد والقريب منهم عليه معرفة أسمائهم ونسبهم وأخلاقهم كي يعرف منازلهم ويستعين بكل واحد منهم في العمل المناسب له واللائق به [١٢] وأن يكون موقناً باعتقاده يقيناً لا يقبل الشك انه من أقرب القرابات وأبلغها لرضا الله ، بذل المال والنفس والأهل في إقامة الشريعة وإظهارها ؛ لأن من يفعل ذلك لغرض نصرة الشريعة فان نفسه بعد مفارقتها للجسد ترتفع درجتها وتشرف على نفوس الناس المتجسدة السائرة على الشريعة وتتصرف بأمورها كتصرف رؤساء أهل المدينة في أملاكهم حيث تجد لذة وسرور وفرح يشبه فرح الرؤساء ذوو السياسة من انقياد الشعوب لهم وطاعتهم ، وكلما كثر عدد التابعين في الشريعة ازدادت نفوسهم غبطة وسروراً ولذة أبدية . وعلى واضع الشريعة أيضاً أن يسن سنة حسنة لأهل دعوته

مطالباً إياهم القيام بشرائطها ، وأن تكون له سيرة عادلة يُسير عليها الناس لغرض إصلاح الجمهور والنفع العام ، بحيث لا يبالي للمشقة التي تعرض له من جراء استعمالها له ولغيره ؛ لأن غرضه ليس إصلاح نفسه أو أنصاره وأتباعه الموجودين في زمانه ، بل إصلاح حال من يأتي بعده إلى يوم القيامة ، لأن من يأتون بعده يكونون بالتأكيد أكثر ، فنسبة السابقين للتابعين كنسبة الآحاد من العشرات ، والعشرات من المئات . . . الخ فواضع الشريعة وأصحابه بالنسبة للذين يأتون من بعده الى يوم القيامة كشجرة وأنصاره أغصانها وقضبانها ، ومن يأتي بعدهم من التابعين لهم كالفروع والذين بعدهم كالورق والنور والزهر والثمر . وهي شجرة روحانية تنبت من فوق الى أسفل إذ عروقها في السماء مما يلي رتبة الملائكة وهي الشجرة التي رمز عنها بشجرة طوبى [١٣] . ومن الخصال الأخرى أن لا ينسب الى رأيه واجتهاده وقوته شيئاً مما يقول ويفعل ويأمر وينهي في وضع الشريعة ، بل لابد من نسبته الى الواسطة التي بينه وبين ربه من الملائكة التي توحي إليه في أوقات غير معلومة . فهم عكس الحكماء والفلاسفة إذا استخرجوا علماً من العلوم أو ألفوا كتاباً أو استخرجوا صنعة من الصنائع أو دبروا سياسة نسبوا ذلك الى قوة أنفسهم واجتهادهم [١٤] .

ومثلما تكلموا عن خصال واضع الشريعة تكلموا عن القواعد التي يضعها صاحب الشريعة حيث تتعلق بالجانب العقائدي وهي عشرة يمكن تحديدها تباعاً .

١ – أن يرى ويعتقد في نفسه علماً يقينياً أن للعالم بارئاً قديماً حياً عالماً حكيماً قادراً مريداً ، هو علة جميع الموجوداتومالكها ومُصرفها بحسب ما يليق بكل واحدٍ منها .

٢ – أن يرى ويتصور موجودات عقلية مجردة من الهيولى ، كل واحد منها قائم بنفسه ، متوجه نحو ما نصب له من أمره أي ملائكة الله وخالص عباده الذين بهم تقع المراسلة والوحي والأنباء والتأييد .

٣ – أن يرى ويعتقد وجودات نفسانية مجردة من الأبدان تارة ، ومستعملة لها تارة ، ومتعلقة بها أخرى ، وهي نازلة من حيث الحيوانات بحسب ما يليق بكل واحد منها من إدراك مآربها وتمكنها به .

٤ – أن هذه النفوس لا تبطل ذاتها عند مفارقة الأجساد بالموت (خلود النفس) وخروجها من الحس والأجساد لا يخرجها من قدرة الله .

٥ – إن كل واحدة من الموجودات منفردة بذاتها لا يُصلحها أو يفسدها إلا ما تعلق بها من سوء أعمالها أو فساد آرائها أو رداءة أخلاقها وتراكم جهالاتها .

٦ – أن يرى ، إن الله أمر الناس أمراً مكنهم منه وأزاح عللهم فيه فمنهم طائع ومنهم راكب نهيه .

٧ –إن الله جعل لكل صنف من الطاعات والمعاصي جزاءً من ثواب وعقاب .

٨ – إنللعباد معاداً يجازى فيه الناس على ما أسلف منهم من خير وشر وعُرف ونُكر ، وجعل الله للبشر إمكانية إصلاح أنفسهم ، لذا فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها ، وليس الله بظلام للعبيد .

٩ – إن الدعاء الى الله أولى الأعمال بالثواب وأرفعها درجة عند المآب .

١٠ – إن الدعاة الى الله تعالى هم أعلى الناس درجة وأرفعهم منزلة ، وأشدهم في الدعاء حرصاً وأكثرهم فيه درباً وأوسعهم علماً [١٥] .

هذه القواعد العشر إذا تحققت في نفس واضع الشريعة وأصبح يتصورها وكأنه يراها ، فعند ذلك يجب توضيحها لأهل دعوته يصرح بها للخاصة ويرمز لها عند العامة بالألفاظ المشتركة والمعاني المحتملة للتأويل [١٦] .

وعليه أن يسن لتابعيه سنة تحثهم على موالاة بعضهم بعضاً لأن الإسلام يحث على ذلك لأن فيه لم للشمل وتأليفللقلوب واتفاق للكلمة والرأي وقوة للمسلمين ، فضلاً عن ضرورة مخالفة من خالفهم في سُنـّة الشريعة ، وتجنبهم والبراءة منهم وإن كانوا أحباء أو ذوي قربى . فان فعلوا ذلك أصبحوا بمثابة جسد واحد ونفس واحدة ويصبح واضع الشريعة بمنزلة الرأس من الجسد ، وتكون نفسه متصرفة في نفوسهم كتصرف القوة المفكرة في سائر القوى الحساسة [١٧] . وحتى تتحقق هذه الأمور نجد الإخوان طالبوا توافر بعض الشرائط عند إتباع صاحب الشريعة هي :

أ – أن يكون لكل واحد منهم عقل يعرف به القبيح وينزجر عنه ، ويعرف الجميل ويأمر به .

ب – أن يقتدوا بواضع الشريعة فعلاً وقولاً وأدباً وتصرفاً .

جـ – يجب وجود وصية عند كل واحد منهم من صاحب الشريعة يدرسونها في أوقات معلومة .

د – أن يتولى كل جماعة رئيس فاضل عارف بسنة الشريعة يأمرهم باقامتها ويحثهم على حفظها ، وينهاهم ويزجرهم عندما يحاولون تغيير سيرة الشريعة [١٨] .

هذه أبرز الأفكار التي طرحها الإخوان تحت عنوان السياسة النبوية على أن هناك مواضيع أخرى سنذكرها في حديثنا عن السياسة الملوكية التي لا تقل أهميتها عندهم عن الأولى ، بل هي من أكثر القضايا تشعباً عندهم .

٢ – السياسة الملوكية : - تتمثل في معرفة حفظ الشريعة على الأمة ، وإحياء السُنـّة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بإقامة الحدود وتنفيذ الأحكام التي وضعها صاحب الشريعة ، فضلاً عن ردّ المظالم وقمع الأعداء وكف الأشرار ونصرة الأخيار . وهي مختصة بخلفاء الأنبياء والأئمة المهديين الذين قصدوا بالحق وبه كانوا يعدلون [١٩] .

وهكذا حددوا الغرض من الملك بأنه حفظ الناموس على أهله كي يؤدي الناس واجباته ، وهم لولا خوف السلطان لتركوا الدخول تحت أحكامه وتأدية تعاليمه . والغرض من الحفاظ على الناموس هو صلاح الدين والدنيا جميعاً ؛ لأن السياسة الإلهية والعناية الربانية لا تترك الدين والدنيا ينفسدان ؛ لأنها هي العلة الموجبة لوجودهما وبقائهما وتمامهما [٢٠] .

وانطلاقاً مما تقدم ندرك أن مفهوم السياسة عند إخوان الصفاء كان بالدرجة الأساس مفهوماً دينياً، بل منحوها أهمية كادت تقترب من حيث المكانة من السياسة النبوية ، ومصداق ذلك بالإضافة لما تقدم إنهم وعند حديثهم عن خصال النبوة أكدوا أن هذه الخصال إذا اجتمعت في واحد من البشر وفي دور القرانات

في وقت من الزمان كان هذا الشخص هو النبي المبعوث وصاحب الزمان والإمام للناس ما دام حياً، وإذا توفى بعد أداء واجباته ستبقى تلك الخصال في أمته وراثة منه ، وإذا اجتمعت هذه الصفات عند احدهم أوجلها سيكون خليفته في أمته وراثة منه ، وفي حال عدم توافرها في شخص واحد ، وكانت متفرقة في جماعتهم ، عند ذلك يجب اجتماعهم على رأي واحد ، وتأتلف قلوبهم ويتعاضدوا على نصرة الدين والسنة كي تتوحد الأمة وتقوى دولتهم وفي حلاف ذلك زوال دولتهم [٢١] .

لذا على الملك أخذ البيعة على الأتباع والمستجيبين ، وترتيب الخاص والعام كل حسب رتبته ، وجباية الخراج والعُشر والجزية من الملة ، وتوزيع الأرزاق على الجند والحاشية ، وحفظ ثغور البلاد وتحصين البيضة ، وقبول الصلح والمهادنة مع الملوك والرؤساء وتحسين العلاقات معهم [٢٢] .

وهذه الأعمال المهمة والمنصب البارز بالتأكيد لا يتولاه أي إنسان بل هو من حق من توافرت فيه عدة خصال يتعلق بعضها بعقيدته وأخرى بأخلاقه العملية تجاه الرعية ويمكن إيجازها بما يلي :

أن يكون رجلاً عاقلاً أديباً لبيباً سخياً شجاعاً عادلاً رحيماً ، عالي الهمة ، كثير التحنن ، شديد العزيمة ، صارماً في الأمور متأنياً ذا رأي وبصيرة ، ومع ذلك يجب أن يكون مشفقاً على رعيته متحناً على جنوده وأعوانه ، رحيماً بهم كالأب المشفق على أولاده الصغار شديد العناية بصلاح أمورهم [٢٣] .

ولو أحصينا الصفات الأخرى التي أكدوا ضرورة تواجدها عند الملك لوجدناها ثلاثين صفة أهمها الجانب العقائدي بالدرجة الأولى والتي يتحدد بموجبها نوع تصرفاته وهي : أن يكون مقراً بوحدانية الله والابتهال إليه بالدعاء والتضرع ليل ونهاراً . وأن يكون مقراً برسله مصدقاً لهم وقابلاً منهم . التصديق بالكتب السماوية المنزلة . الحفاظ على الناموس وسياسة الناس وفقه .

التواضع وترك الفخر وترك الظلم والجور ؛ لأن من ظلم عباد الله كان الله خصمه ومصيره الخذلان .

ترك شرب الخمر ، لأنه عدو للعقل ، والعقل خليفة الله الباطن ، ومن سلط على خليفة الله عدوه ، دمره الله وذهب عقله بدخول عدوه عليه ؛ ومن ذهب عقله فلا دين له ولا علم ولا مروءة ولا حياء ولا مراقبة ، ومن عدم هذه الخصال كان موته صلاحاً عاماً.

ترك مخالطة النساء والاجتماع معهن والاصغاء الى قولهن ، فهن يفسدن عقول الرجال في حال الإصغاء إليهن كما يعتقدون . وأكدوا على أهمية الكرم وسماحة النفس والتفضيل على سائر الناس صديق كان أو عدو ، لأنه خلق يشرف صاحبه . تأكيد صدق القول وأداء الأمانة الى البرّ والفاجر . ضرورة التحلي بحسن الخلق والأدب وصدق الوعد والوفاء بالعهد ، والعفو عند المقدرة ، واصطناع الرجال ، وترك الحسد ، والحرص على أن لا يكون له عدو ، وإذا وجد فليكن الاحسان إليه عقوبة له . ترك التفريط فيما لديه من وديعة الله عنده وأن لا يفعل إلا ما يقربه الى الله . أن تكون مروءته غالبة لشهواته . أن لا يؤثر دنياه على آخرته . ترك النظر فيما لا يعنيه وأن لا يشتغل إلا بما يشغله الله تعالى [٢٤] .

أما عن الصفات التي تتعلق بالجانب الإداري فيمكن تحديدها بـ :

إن يكون متفقداً لأهل مملكته حتى لا يغيب عنه شيء من أمورهم صغيرهم وكبيرهم ، بل يكون علمه محيطاً بجميع أعمالهم ، وأن يقابل كل واحد من رعيته على قدر عمله ، وأن يكون عدله شاملاً لهم ، ولا يجور عليهم ، ولا يساوي بين علمائهم وجهالهم بالعطية والمنزلة ، وأن يولي عليهم من قبله الأخيار والأحرار ولا يحق له تولية العبيد والسوقة وأولاد الزنا ، لأن أعمال الولاة تنسب للملك فان عدلوا قيل عدل السلطان وأن جار قيل جار السلطان .

على الملك أيضاً أن لا يستعمل من أصحاب الرأي والمشورة من هو مخالف له في دينه ؛ فانه لا ينصح ، وأن نصح في أول مرة فانه يغشه في الأخرى .

أن يكون وزيره أرفع أهل زمانه درجة في الدين والدنيا جميعاً ، ويكون من الأخيار فقد قيل أن من لا أصل له لا فرع له ، ومن لا فرع له ، لا ثمرة له ، وكل شجرة لا ثمرة لها فالنار أولى بها .

على الملك أيضاً إنصاف المظلوم من الظالم ومنع التعدي على الضعيف . وعليه أيضاً ردّ الحق الى أهله والانتصار .

هذه الخصال إذا كملت عند الملك رجي له الكمال في أمور دينه ودنياه (الملك والسلطان) وعندها يكون عادلاً فينال الحضوة من الله وحسن العاقبة في المعاد والمنقلب إليه . وهي خصال يجب أن يوصي بها الحكيم تلامذته ، والنبي أمته ومن يخلفه فيهم لمقام خلافته [٢٥] .

وإذا كان الملك بهذه الخصال والمؤهلات فان على الرعية السمع والطاعة ، فالملك من الرعية بمنزلة الرأس من الجسد ، والرعية والجنود بمنزلة الأعضاء من البدن ، ومتى أدى كل فرد منهم ما عليه من واجبات انتظمت أمور الدولة وآلت عاقبتها الى الصلاح والفلاح للجميع ، بل ينبغي للرعية محبة الملك والنصيحة له ولأعوانه ، فيعّرف كل منهم للملك ما عنده من سجايا وأخلاق لكي يعامله بما يستحق من المنزلة ويستعين عليه بما يصلح له [٢٦] وحتى يحافظوا على بلادهم يجب أن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم ، ويطيعوا الولاة ويتركوا الخلاف والنفاق والعداوة ، والمنازعة والمجادلة في أديانهم ومذاهبهم ، لأن في ترك ذلك صلاح لهم ، وعامل فعال في وحدتهم ودعة لقلوبهم ، وإذا استبدلوا ما هو خير لهم بما هو شر لهم تشتت قواهم وخرب بلادهم وعندها يخسرون الأموال والأنفس ، فتنتهي قواهم ويهلكوا عن بكرة أبيهم لذا عليهم أن لا يتعادوا في المذاهب ولا يلعن بعضهم بعضاً، ففي وحدة الكلمة وترك الخلاف بركة لمن أقبل عليها وحصناً لمن التجأ إليها [٢٧] .

وهكذا وضع الإخوان مجموعة مبادئ الزموا رجل الدولة تأديتها وعلى الشعب الطاعة لها ، وهي بمثابة مقاييس قانونية يُحكم على ضوءها على مدى صحة تصرفات الرئيس والمرؤوس ، بل ودليل على شرعية الدولة ، فهم أسهموا بلا شك بما يسمى بالعرف السياسي بـ (الفقه السياسي) [٢٨] .

وكي تتضح الصورة أكثر حول شرعية السياسة الملوكية نقول : إنهم وتحت هذا العنوان تطرقوا لمصطلح الخلافة . حيث قسم الإخوان الخلافة قسمان : خلافة الله وتمثل السياسة الحقة ، وخلافة إبليس .

أما الأولى فهي خلافة روحانية تقوم على الأمر والنهي حيث تكون طاعة الخليفة طاعة لله ، وأول خليفة استخلفه الله تعالى ، كان آدم (ع) بعد توبته ، وهي تشمل المستخلفين من ذريته بالأمر الثاني ، أي الوصية الثانية المتمثلة بخلافة النبوة ، وخلافة الإمامة [٢٩] .وخلافة الإمامة أمر لا تستغني عنه الأمة إذ لابد لها من إمام يكون خليفة لنبيها بعده يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فيحفظ الشريعة ويُحيي السنة . ويُعين خلفاؤه في سائر البلدان الإسلامية يحكموها بالنيابة عنه لتولي المهام الإدارية من جباية الخراج وأخذ الأعشار وتوزيعها على الجند والحاشية ، ليحفظ بهم ثغور البلدان الإسلامية ويقمعوا الأعداء ، ويحفظوا الطرقات من السُراق واللصوص وقطاع الطرق لمنع الظلم ونصرة المظلوم . . . الخ والحاجة للإمام تتضح أيضاً انه المرجع الذي تعود إليه الفقهاء والعلماء عند مشاكلهم في أمر الدين ومسائل الخلاف فيحكم بينهم بهذه المسائل الفقهية في الأحكام والحدود والقصاص والصلوات والجماعات والأعياد والحج وتولية القضاة والعدول . . . الخ [٣٠]. وهنا عوّل الإخوان على مكانة آل بيت الرسول (ص) فبينوا إنهم الذين جعل الله فيهم سر الخلافة فعلمهم وعملهم رباني [٣١] وهم والنبي محمد (ص) تميزوا بعدم عقد اللواء لأي شخص إلا بالعلم ، ولا يمنحون أحداً إلا ما يستحق وفقاً لمنزلته وفضيلته ومكانته [٣٢] .

فخلافة الله هي القائمة على وصية النبي وهي خلافة روحانية حقة . أما خلافة إبليس فتعني عندهم أن يتولاها شخص لا يستحقها بل ينالها بالحيلة والمكيدة وعبروا عنها بالسياسة الجسدانية حيث يحكم الجبابرة أجساد الناس لا أرواحهم وهم أصحاب القهر والغلبة والجور والظلم [٣٣] وشبهوهم بالسباع والوحوش في أخذ أمورهم من الناس مستخدمين شتى الوسائل لنيل أهدافهم ، فيورثون رعيتهم الخوف والمشقة والمذلة . لذا فملك هؤلاء ليس روحانياً لأنه لم يحصل بتأييد سماوي ؛ لذا صاروا مشاغيل بما تشتغل به البهائم إذ ليس لهم هم إلا البطن والفرج وجمع ذخائر الدنيا وجواهرها واغتنام لذاتها فهم مغرورون بالملك الأرضي [٣٤] .

وبهذه الأفكار ميز إخوان الصفاء بين الملك الأرضي والملك السماوي وهي فكرة تشبه الى حد ما الفكرة التي أكدها القديس اوغسطين في الفلسفة المسيحية عندما ميز بين المدينة الأرضية والمدينة السماوية [٣٥] .

وبما إن الخلافة قسمان طلب الإخوان من الإنسان أن يعرف من هو الخليفة صاحب الحق واليقين لكي يتبعه ويتصل به حتى ينجو ويقف على الطريقة الواضحة والحجة اللائحة ، وإن لم يستطع معرفته عليه أن يجعل من العقل خليفة له ، فيقبل أوامره ونواهيه ، ويتجنب الهوى إذ هو خليفة إبليس لأنه لا يجعل الإنسان مسيطراً على العقل [٣٦] .

ومثلما تكلم الإخوان عن السياسة النبوية والسياسة الملوكية ناقشوا موضوع جمع الرسول محمد (ص) للملك والنبوة معاً كما جمعت لداود وسليمان ويوسف الصديق عليهم السلام . حيث وضحوا أن محمد (ص) أقام في مكة من أول مبعثه قرابة اثنتي عشر سنة يدعو الناس ويعلمهم معالم الدين حتى استوفى

خصال النبوة وأحكامها . ثم هاجر بعد ذلك الى المدينة وأقام بها نحواً من عشر سنين في ترتيب أمر الأمة وتولي قضايا الملك كجباية الخراج والعُشر ، ومصالحة الأعداء والمهادنة ، وقبول الهدايا وحملها ، والتزويج منهم وإليهم حتى أحكم أمر الملك . وهنا ناقش الإخوان الأسباب التي جمع من أجلها الملك والنبوة لنبي الرحمة (ص) . فأكدوا بداية أن الله لم يجعلهما لنبيه لأن الرسول (ص) كان راغباً بالدنيا وحريصاً عليها ، فهي وإن جمعت إلا أن القصد الأول منها الدين ، والملك عارض ولعدة أسباب :

أ –انه لو كان الملك في غير أمته لم يكن يُؤمَن أن يردهم عن دينهم أو يسومهم سوء العذاب .

ب – إن الناس في طباعهم وجبلتهم لا يرغبون إلا في دين الملوك ولا يرهبون إلا منهم .

جـ – إن الدين والملك إخوان توأمان .

وعندما حاول اليهود محاججة الرسول (ص) والتشكيك بنبوته تحت طائلة انه كيف تُجمع لك السلطة الدينية والدنيوية ، أنزل الله تعالى قصة سليمان وداود ليحاجج بها اليهود والنصارى إذ كانوا مقرين بنبوتهما ولم يكن ذلك قادحاً في نبوتهما ، فالملك إذن لم يكن قادحاً في نبوته (ص) [٣٧] .

هذه أبرز المواضيع التي ناقشها الإخوان في حديثهم عن السياسة النبوية والملوكية ، وهي نالت حظاً وافراً عندهم لذا كانت واسعة من حيث التفصيل خلافاً لبقية السياسات كالسياسة العامية ، والخاصة ، والذاتية .

٣ – السياسة العامية : - وهي الرياسات على الجماعات ، كالأمراء على البلدان والمدن ، وكرئاسة رئيس الفلاحين على أهل القرى ، ويدخل ضمنها قادة الجيوش على العساكر وما شاكلها . ولها شرائط خاصة بها مثل : إن على الرئيس معرفة طبقات المرؤوسين ومذاهبهم وصفاتهم وأنسابهم وصنائعهم ، فيعاملهم كل بحسب استحقاقه مع رعاية أمورهم وتفقد أحوالهم والسعي لجمع شملهم والتناصف بينهم ، ويضع كل واحد منهم بالمكان المناسب له ، من أعمال وصنائع مع مراعاة الموهبة والقدرة في هذا العمل ، أي وضع الرجل المناسب في المكان المناسب .

٤ – السياسة الخاصية : - وتتعلق بكيفية تدبير المنزل وأمر المعيشة ومراعاة أمر الخدم والغلمان ، والأولاد والمماليك وكيفية التعامل مع الزوجة والأقرباء والعشرة مع الجيران والأصحاب والنظر في أمورهم وقضاء حوائجهم المختلفة سواء المتعلق بأمور الدنيا أو أمور الدين [٣٨] والسياسة الخاصية لو تأملنا ما ورد فيها من أفكار لوجدناها أقرب للأخلاق ولعلم الاجتماع من السياسة وإليك بعض النماذج من القضايا التي ناقشوها تحت هذا الموضوع . أكدوا إن على الرجل سياسة أولاده بشكل متساو حيث لا يفرق في معاملتهم أو يميز بينهم . وإن لا يظهر لهم فاقة أو حاجة بل يجعل عند كل منهم عذراً لا يبين فيه اختلال أو حاجة – لأنهم إن عرفوا بذلك ربما تنقص منزلته عندهم بحيث لا يقيمون له وزناً. على الرجل تفقد حال زوجته باستمرار ودون إشعار منها ، لأن النساء كثيرات التلون يتغيرن مع الساعات لذا عليه متابعة أمورهن والصفح إليهن ، وإن استفسادهن أمر يسير إلا من عصمها الله وقليل ماهن [٣٩] .

إن على من يتولى سياسة الأصحاب أن يعرف كل أمورهم صغيرها وكبيرها بحيث لا تخفى عليه خافية ، وفي حال عدم معرفته لذلك لا يتمكن من سياستهم ، وفي الوقت نفسه عليه أن لا يظهر نقاط الضعف أو أسراره لهم فأنهم قد يأتونه من حيث آمنهم – فليس كل من نصادقه يجب وضع ثقتنا به ونكشف له أسرارنا فكم من شخص صاحب الأنبياء وهو منافق هدفه معرفة الأسرار وكشفها فيما بعد . فإنسان هذه حاله يجب مقاطعته والابتعاد عنه . وعليه أيضاً أن يعطي العلم للأهل وللأصحاب بحسب ما يستوجبه ، وأن يكون الدين الذي يعلمه لأصحابه هو نفسه الدين الذي يعتنقه وكذا المذهب على أن يعرف ذوي الفطنة والذكاء فيعتمد عليهم في تهذيب من دونهم . وإذا وجد شخصاً من أهله أو أقاربه عدل عن الطريق الصحيح فالبراءة منه أمراً لابد منه ، اقتداءً برسول الله محمد (ص) عندما تبرأ من عمه أبي لهب ، وكما تبرأ إبراهيم خليل الله (ع) من أبيه [٤٠] .

٥ – السياسة الذاتية : - وهي معرفة كل إنسان نفسه وأخلاقه ، وتفقد أفعاله وأقواله في كل الأحوال عند الشهوة والغضب والرضا [٤١] . وقسموا هذه السياسة قسمان : سياسة الجسد ، وسياسة النفس . حيث أكدوا أن الجسد مسوس والنفس سائس ، وأي نفس ارتاضت في سياسة جسدها كما يجب ، أصبحت قادرة على سياسة الأهل ، ومن نجح في سياسة الأهل تمكن من سياسة قبيلة ، ومن فعل ذلك تمكن من سياسة مدينة ومن ساس مدينة أصبح قادراً أن يسوس الناموس الإلهي ، ومن كان قادراً على ذلك أمكنه الصعود إلى عالم الأفلاك وسعة السماوات [٤٢] .

وتتلخص السياسة الجسمانية بالطريقة التي يحافظ بها الإنسان على عافية جسده عن طريق الالتزام بنظام غذائي ، وعليه معرفة الأمراض التي تصيبه ، هل سببها الأكل والشرب أم اختلاف الأهوية أم سبب آخر . فان عرف احد السببين فعليه التزام السياسة الطبية والاعتدال بالأكل والشرب والباءه [٤٣] .

أما السياسة النفسانية ، فأكدوا فيها على الطريقة التي تكون بموجبها أخلاق الإنسان رضية وعاداته جميلة وأفعاله مستقيمة مؤدياً الأمانة الى أهلها كائن من كان ، وحسن مجاورة الجار ، وصفاء المودة للصديق وإخلاص المحبة للمحب ، وقلة الطمع وتجنب الاستعجال في الأمور الزائلة ، وأن يريد للغير ما يريد لنفسه . فضلاً عن ضرورة تعود الإنسان نفسه عمل الخير ، لأنه خير وأن لا يريد بفعله غرضاً ، أو انه عمله بدافع الخوف ، ومتى فعل لطلب المكافأة عندها لم يكن العمل خيراً ، ومتى فعله بدافع الذكر والسمعة كان الفعل نفاقاً ، ولم يكن خيراً ، والمنافق لا يستأهل أن يكون في جوار الروحانيين [٤٤] .

والإخوان بلا شك أكدوا فكرة ذكرها فيما بعد الفيلسوف الألماني عمانوئيل كانت في دعوته الى ضرورة فعل الخير للخير إتباعاً للواجب [٤٥] .

وقبل أن نختم موضوع أنواع السياسات نود أن نقول أن السياسات وعلى الرغم من تعدد أقسامها واختلاف مسمياتها عندهم فيجمعها أمران : الأول إن على السياسي أن يبدأ أولاً بإصلاح نفسه ، أخلاقه وعاداته وبعدها عليه إصلاح غيره [٤٦] . والثاني ضرورة تسلسل السلطات وخضوع الأدنى للأعلى ، على الأولاد طاعة الآباء والأمهات ، وعلى الزوجات الطاعة لبعولتهن ، والصبيان عليهم طاعة المعلمين ،

والتلاميذ طاعة الأستاذ ، وطاعة الجهال للعلماء ، والمرضى للأطباء ، والرعية للسلطان العادل ، وطاعة السلاطين والأمراء والملوك لخلفاء الأنبياء ، وعلى الخلفاء طاعة الأنبياء (ع) ، والأنبياء طائعون للملائكة ، والملائكة طائعون لله سبحانه وتعالى . حيث أكدوا في نهاية كلامهم موضحين أن قضية الطاعات مصدرها الدين النبوي الحنيف والمنهاج السني والسيرة الملكية إذ يكون كل مرؤوس منقاداً لطاعة رئيسه ولا يعصيه في أمر أو نهي فيه صلاح للجميع [٤٧] .

ثانياً : ـ الدولـــة

أكد الإخوان ضرورة الدولة ؛ لأن الإنسان بمفرده غير قادر على العيش بهذه الحال إلا عيشاً نكداً، فهو محتاج الى الآخرين من ذوي الصنائع المختلفة ولو أراد تعلمها كلها لا يستطيع بالتأكيد بسبب كثرة الصنائع من جانب ولقصر العمر من جانب آخر إذ يحتاج تعلمها الى سنوات كثيرة جداً . وعندها لجأ الى حياة اجتماعية في القرى والمدن لمعاونة بعضهم بعضاً . والمهن موهبة إلهية منحها الله لبعض الناس فاقتضت حكمته تعالى أن يعمل بعضهم بالبناء وغيرهم بالتجارة وآخرين بالصنائع ، وبعضهم بالسياسة ، ومنهم من يعمل بأحكام العلوم وتعليمها . فأصبحوا مثل الأخوة من أب واحد ، في منزل واحد . وعند اجتماعهم اتفقوا على اصطلاح الوزن والكيل والثمن والأجرة فكان ذلك عامل مشجع لهم على الاجتهاد في الأعمال والصنائع حيث يستحق الإنسان من الأجرة بحسب نشاطه واجتهاده في العمل . وهذه الأمور تتعلق بوظائف الدولة الداخلية ، وهم أكدوا قضية التخصص بالعمل وضرورة الإبداع فيه . وهذه حميدة لا تـُنكر بل نجد الدول الناجحة علمياً وعملياً تؤكد هذا الموضوع .

ومثلما يحتاج الإنسان الى الدولة في سد حاجاته فانه يحتاجها أيضاً في قضية نجاة نفسه وهنا أضفوا على الدولة صبغة دينية حيث بينوا إن الإنسان لا يستطيع أن ينجو من محنة هذه الدنيا وآفاتها بالجناية التي كانت من أبينا آدم (ع) فالإنسان محتاج الى النجاة من عالم الكون والفساد ومن عذاب جهنم وجنود الشياطين وجنود إبليس ، والصعود الى عالم الأفلاك وسعة السماوات ومسكن عليين وجوار الملائكة المقربين من الله تعالى ، وهذا لا يتحقق للإنسان بمفرده ، بل بمعاونة إخوان له نصحاء ، وأصدقاء فضلاء متبصرين بأمر الدين علماء بحقائق الأمور ليعرفوه طريق الآخرة وكيفية النجاة من هذه الورطة [٤٨] لذا فهو بحاجة الى ملازمة شريعة ومعاونة أهل مدينة لينجو بشفاعتهم من جهنم ، فالدين يحث على الحياة الاجتماعية ، وعلى ضرورة رئيس يجمع شملهم ويراعي أمورهم ويمنع من الفساد ويدعو للصلاح بشرط أن يكون معتمداً على شريعة يبني عليها أمره [٤٩] .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هل الإخوان أرادوا أن يؤكدوا حاجة الإنسان الى الدولة والحياة الجماعية انه مدني بالطبع تلك الفكرة التي طرحها قبلهم أفلاطون وأرسطو [٥٠] ؟ أم انهم يرون خلاف ذلك ، أي إن الإنسان ليس مدنياً بل أناني بطبعه ، وانه إذا ترك وشأنه يفعل ما يحلو له من رغباته الطبيعية الخاصة تلك المسألة التي أعلنها مثلاً انتيفون وغلوكون السفسطائيان ، وتوماس هوبز [٥١] وغيرهم ؟ .

الجواب : إن الإخوان يرون في الحقيقة أن الإنسان أناني بطبعه ومصداق هذه الإجابة نجده عند تتبع آرائهم التالية : إن طاعة البشر لرؤسائهم لم تكن برغبة منهم للانقياد الى الأوامر ، بل طباعهم وجبلتهم بالضد من ذلك . لذا كانت طاعتهم للملوك أكثرها خداع ومكر ونفاق وغرور بل وطلباً للعوض ، ناهيك عن الخروج من الجماعة والعداوة والحرب والقتال والفساد في الأرض وهذه حالهم حتى مع الأنبياء والرسل ، فهم تارة ينكرون دعوتهم بالجحود ، ويطالبونهم بالمعجزات ، فضلاً عن نفاقهم ومكرهم وخيانتهم بالسر والعلانية ، وذلك بسبب غلظ طباع هؤلاء وتراكم جهالاتهم وسيئات أعمالهم ورداءة جبلتهم وسوء عاداتهم وعمى قلوبهم ، بل وصلت الحال عند بعضهم إدعاء الربوبية وغيرهم عبيد لهم [٥٢] .

إن ديدن بني آدم أن يقتل بعضهم البعض منذ عهد قابيل وهابيل الى يومنا هذا ، فنرى في كل يوم من القتلى والجرحى والصرعى في الحروب ومثال ذلك ما حصل في أيام رستم واسفنديار وجمشيد وتبع والاسكندر وبخت نصر . . . الخ الى أن ذكروا أيام عثمان وبني العباس وبني مروان [٥٣] .

إن عداوة البشر لبعضهم تشبه عداوة الحيوانات لبعضها ، كعداوة البوم للغربان ، وأجلّ الله القارئ كعداوة الكلب للسنانير ، فالبشر يحسد بعضهم بعضاً ويهرب بعضهم من الآخر حيث الأشرار أعداء للأخيار والفقراء أعداء للأغنياء ، بل يعادون كل من خالفهم في شريعة أو معتقد أو فكرة أو حتى في اللغة . ولا يصلح بين أهل الديانات ولا يؤلف بين قلوبهم إلا المعرفة بالحق الذي يجمعهم على كلمة التقوى ، وهذا ما فعله الرسول الكريم محمد (ص) حيث استطاع أن يؤلف بين قلوب المسلمين بتوفيق من الله [٥٤] حتى صار المؤمنون على رأي واحد في إقامة الدنيا ومجاهدة الكافرين ، وحاول (ص) تهذيب نفوسهم إذ أكد لهم إن محاربة الكفار تكون لا لغرض الحقد أو العداوة بل لردهم الى الحق ، وإن الحرب هي الخيار الأخير ، ففي البداية ندعوهم للإسلام وفي حال رفضهم تطلب منهم الجزية ، فان رفضوا كانت الحرب ، على أن تكون مقرونة بشروط مثل عدم قتل الشيوخ والصبيان والنساء ، فضلاً عن تجنب قتل رجالات الدين من مختلف الأديان حيث أعلن لهم لا تقتلوا راهباً ولا قساً ولا شماساً ولا مطراناً ولا جاثليقاً، وهذه سنة الله تعالى . ولكن هذه السنة غيرت مع الأسف عند بعض السلاطين فوصلت الحال بهم إذا رأوا شخصاً عنده نعمة حسدوه عليها ، وأوقعوا به المكائد حتى تُسلب نعمته ، ولو اضطروا الى الضرب والقتل ، والانكا من ذلك حسد من كانت له امرأة جميلة أو جارية حسنة ، فتصل بهم الحال محاولة الإيقاع بينها وبين زوجها [٥٥] .

صفوة الكلام إن الإخوان أكدوا أنانية الإنسان وبفضل الدين الإسلامي الحنيف وبجهود نبي الرحمة هُذبت هذه الطبيعة ، ولكن خرجت عليها فيما بعد بعض السلاطين وهنا يمكن أن نعد الإخوان بصف القائلين بأنانية الإنسان بطبعه لا بمدنيته . وبعد أن بينا موقفهم من هذا الموضوع ، سنتطرق لمواضيع أخرى ناقشوها في حديثهم عن الدولة ، والتي يمكن حصرها بأثر موجبات أحكام النجوم في قيامها وزوالها ، وموضوع طبقات الشعب في الدولة وفقاً لرجحان عقولهم .

أما الموضوع الأول يمكن توضيحه بموقف الإخوان القائم على إمكانية التنبؤ بمستقبل الدول ومصيرها سلباً أو إيجاباً حيث أدعوا إلمامهم بعلم التنجيم وأهميته ، فمن خلال القرانات التي تحصل في كل ألف سنة مرة يستدل المنجمون على ما يحصل من أمور الملك والدول ، ومن القرانات التي تحصل في كل مئتين وأربعين سنة مرة واحدة ، يُستدل على موضوع تنقل الملك من أمير الى آخر ومن أمة الى أخرى ، ومن بلد الى بلد ومن أهل بيت الى أهل بيت . ومن التي تحصل في كل عشرين سنة مرة واحدة يستدل على تبدل الملوك وما ينتج جراء ذلك من حروب وفتن . وأعلنوا أيضاً إن هناك حوادث يستدل عليها في كل سنة من رخص أو غلاء وأمراض وإعلال . بل معرفة حوادث الأيام والأشهر ، ناهيك عن دور أحكام النجوم في فهم أحكام المواليد ، والاستدلال على الخفيات من الأمور [٥٦] .

والإخوان بلا شك لا يعنون بأثر النجوم إنها تفعل من تلقاء نفسها ، بل تعمل بمشيئة الله تعالى ، فيكون موضوع قيام الدول مرتبط بالعناية الإلهية وأمر تغيرها وزوالها تابعاً للحكمة الإلهية ، وهكذا صرحوا إن أيام هذه الدنيا دول بين أهلها تدور بإذنه تعالى وسابق علمه ونفاذ مشيئته فأصبحت تتأثر بموجبات أحكام القرانات التي تحصل في كل اثنتي عشر ألف سنة مرة أو في كل ستة وثلاثين ألف سنة ، أو في كل ثلاثمائة ألف وستين ، أو في يوم يكون مقداره خمسون ألف سنة [٥٧] . وربما يزيد عدد المدن بالقرانات الدالة على قوة السعود واعتدال الزمان . وقد تنقلب الأمور سلباً عند القرانات الدالة على قوة النحوس ، فحال الدول هو التعاقب إذ لكل دولة وقت منه تبدأ وغاية إليها ترتقي وحد إليه تنتهي ، وعند بلوغها أقصى مدى غاياتها تسارع إليها الانحطاط والنقصان ، واستأنف بالدولة الأخرى النشاط والقوة ، وهكذا تارة تكون الدولة لأهل الخير وأخرى لأهل الشر [٥٨] .

لو نظرنا لما ذكره الإخوان في أعلاه من وجهة فلسفة التاريخ فانه يمثل التفسير الفلكي في سيرورة أحداث التاريخ على الدول والشعوب على حد سواء من سعادة ونحس ، بل أكدوا التعاقب الدوري الفلكي الاجتماعي أيضاً[٥٩] .

ناهيك عن قولهم بحتمية Deter manism عمل النجوم وتحكمها بمختلف جوانب الحياة ، ولهذا طلبوا من الناس ضرورة اللجوء الى الاستدلالات الزجرية والكهانية والنجومية والفأل والقرعة وضرب الحصى والنظر في الكف لمعرفة ما يحصل مستقبلاً من أمور للتحرز منها باللجوء الى رب النجوم وخالقها ومدبرها ، باستعمال النواميس الإلهية وأحكام الشرائع النبوية من دعاء وتضرع وبكاء وصوم وصلاة وصدقات وقرابين في بيوت الصلوات والعبادات بنية صادقة وقلب مخلص سائلين الله دفعها عنهم أو يجعل لهم في ذلك خير وصلاح [٦٠] .

ولو انعمنا النظر في رسائل إخوان الصفاء لوجدناهم يعلنون عن خمسة أماكن يجبر الإنسان عليها ، فسموها بخمسة حكام يسومونا سوء العذاب إذ ينفذون أحكامهم علينا شئنا أم أبينا هي : الفلك الدوار وكواكبه . والطبيعة وأمورها الغريزية المركوزة في جبلة الإنسان من جوع وعطش وشهوات ، وأمراض وآلام . والناموس وأحكامه وحدوده وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ، والسلطان الجائر الذي قد ملك

رقاب الناس بالقهر والغلبة حيث يستعبد الناس ويتحاكم عليهم كما يشاء ، يرفع ويكرم من يريد خصوصاً من يخدمه ويطيعه ويمتثل لأمره ، ويعذب ويقتل من خانه ويبعد من خالفه [٦١] والحاكم الخامس هو حاجة البدن في قوامه الى اللباس والسكن والمركب والأثاث وما لابد منه لقيام الحياة [٦٢] .

فهم أكدوا حتمية فلكية ، وطبيعية ، ودينية ، وسياسية ، واقتصادية لأن حاجات الإنسان تشمل هذه الأمور جميعاً فلا غرابة إذا وجدناهم يقسمون طبقات الناس من مختلف هذه النواحي .

٢ – طبقات الشعب في الدولة : - حدد الإخوان وظائف الناس في الدولة من الناحية الإدارية السياسية تبدأ بالملك والوزراء والكتاب والعمال وأصحاب الدواوين ، وجباة الخراج الذين يجمع الملك عن طريقهم الأموال والذخائر وأرزاق الجند وما يحتاج إليه من الأمتعة والثياب والأثاث . وتشمل الجند حملة السلاح الذين يبطش بوساطتهم الملك بأعدائه ومن خالف أمره من الثوار ، والخارجين ، واللصوص ، وقطاع الطرق ، وكل من يريد إيقاع الفتن وإثارتها بدافع الفساد في البلاد ، ناهيك عن القضاة والعلماء والفقهاء إذ لابد للملك من دين وحكم وشريعة يحفظ بها الرعية والأمة ، يسوسهم ويدبر أمورهم بالحكمة .

من الناحية الاقتصادية تبدأ بطبقة التجار والصناع وأرباب الحرف والمتعاونون في المعاملات التجارية ، والصناع ، والبناءون ، والدهانون والمزارعون وأصحاب الحرث والنسل ، ومنهم الخدم والغلمان والجواري [٦٣] . ويدخل ضمن هذا الجانب أرباب البنايات والعمارات والأملاك ، فضلاً عن أدنى طبقات المجتمع من الناحية الاقتصادية وتشمل الزمنى أصحاب العاهات والعُطل ، وأهل البطالة [٦٤] .

أما من الناحية العلمية والدينية ، فعلمياً تمثل العلماء ، والحكماء ، والأدباء ، وأصحاب الرياضات الموسومين بالتعليم والتأديب والمعارف [٦٥] . أما دينياً فقسموا الناس ثمانية أقسام جاء فيها إن إتباع صاحب الناموس وأنصاره تتمثل بما يلي :

١ – قراء تنزيله وكتبه ، وهم حفاظ ألفاظه على رسومها ليعلموها لمن بعدهم .

٢ – رواة أخباره وناقلو أحاديثه وحفاظ سيره .

٣ – فقهاء أحكام الناموس ، وهم علماء سُننه وحفاظ حدوده .

٤ – المفسرون ألفاظ التنزيل الظاهرة ، وأقاويله المروية ، والتعبير عن وجوه معانيها المختلفة .

٥ – المجاهدون والحافظون ثغور البلاد .

٦ – خلفاء صاحب الناموس في أمته ، ورؤساء الجماعات وهؤلاء حراس الشريعة الحافظون لأطراف المملكة .

٧ – الزهاد والعباد في المساجد ، والخطباء على المنابر لوعظ الناس .

٨ – علماء تأويل تنزيله ، وهم الراسخون بالعلوم الإلهية والمعارف الربانية العارفون لخفيات أسرار الناموس ، وهم الأئمة المهديون والخلفاء الراشدون الذين يقضون بالحق وبه يعدلون [٦٦] .

بهذه الصورة كان الإخوان يقسمون الشعب وطبقاتهم بالدولة وفقاً لوظائفهم وأعمالهم ، ولكن الذي يجمع هذه التقسيمات هو أن مكانة كل إنسان في أي طبقة كانت تتحدد برجحان عقله وهذا يشمل الرئيس

والمرؤوس على حد سواء ، فهو أما أن يكون رئيس أو مرؤوس ، فان كان الأول فرجحان العقل عنده يظهر في حسن سياسته ، وتدبير رياسته ، وحسن عشرته مع أبناء جنسه ، شريطة أن لا يخرج عن السنة وأحكام الناموس .

أما رجحان عقل المرؤوس فتظهر من طاعته لرئيسه وانقياده لأمره والعشرة الحسنة مع الناس [٦٧] .

والإخوان في الحقيقة منحوا العقل مكانة بارزة من الناحية السياسية حيث وضحوا إنهم ارتضوا بالعقل رئيساً على جماعتهم والحكم بينهم إذ جعله الله تعالى رئيساً على الفضلاء ، ومن لم يؤمن بموجبات قضاياه سوف يقطعون علاقتهم به بل يتبرئون منه فلا يعاشرونه ولا يكلمونه في علومهم بل يمنعونه من أسرارهم [٦٨] .

وانه متى أنضاف إلى عقول الأخيار قوة بواضع الشريعة عندها لا يحتاجون الى رئيس يرأسهم ويأمرهم وينهاهم ، فالعقل والقدرة لواضع الناموس يقومان مقام الرئيس الإمام لذا أعلنوا عن اقتدائهم بسُنّة الشريعة وجعلوها إماماً لهم [٦٩] .

وإذا ثبت لنا تأكيدهم دور العقل في الحياة السياسية ، فان العقل وحده بدون شريعة لا تصبح له فائدة إذ مقصودهم الأول الدين والعقل يأتِ لاحقاً . وهذا يتضح من خلال إعلانهم أن العقل وحده لا تصبح له فائدة والعلم وحده لا يعد شيء محمود ما لم يستخدم لرضى الله حيث كل علم وأدب لا يؤدي بصاحبه الى طلب الآخرة ، ولا يعينه على الوصول إليها فهو وبال على صاحبه وحجة عليه يوم القيامة وأوضح مثال على ذلك ، إن الجبابرة والملوك والفراعنة وغيرهم كانت لهم عقول رضية وآداب بارعة ، وحكمة وصنائع عجيبة ، وإمكانات سياسية ، ولديهم وزراء وعلماء وقواد هذه حالهم ولكنهم هلكوا والعلة في ذلك إنهم أهملوا الآخرة ونسوا ذكر المعاد فأخرجوا من الدنيا كارهين حيث صرفوا عقولهم في طلب الشهوات الدنيوية والتمتع بلذاتها [٧٠] .

من كلام الإخوان ندرك سعيهم لإقامة دولة تجمع بين الدنيا والآخرة حيث أعلنوا عن رغبتهم بإقامة مدينة فاضلة .

ثالثاً : - المدينة الفاضلة

انطلقت جمعية الإخوان بتأكيد أهمية ومكانة الصداقة القائمة على أساس التعاون على أمور الدين والدنيا ، والمحبة والرحمة والشفقة والمساواة ، بحيث تصبح أنفس الأصدقاء واحدة وأن كانت أجسادهم متفرقة ، صداقة قائمة على العقل ، ترفض سوء الأعمال وفساد الآراء ورداءة الأخلاق وتراكم الجهالات ومعرفة علل هذه الأمور لغرض التخلص منها [٧١] وقضية تأكيد العقل ومكانته في اختيار الصداقة وقيامها أمر أكده قبلهم أفلاطون [٧٢] وتلميذه أرسطوطاليس [٧٣] . وفصل الإخوان بدورهم الحديث حول الصداقة وكانت لهم آراء قيمة لا نستطيع ذكرها هنا كي لا نخرج عن الموضوع أو يتحول من دراسة سياسية الى أخلاقية [٧٤] لذا سنذكر ما يتعلق منها بالمدينة الفاضلة تلك المدينة التي سموها بالروحانية وهي قائمة على توحيد قوة أجساد أعضائها وجعلها قوة واحدة ، وترتيب نفوس أعضائها ترتيباً واحداً في مملكة

صاحب الناموس الأكبر الذي يملك النفوس والأجساد . وأهل هذه المدينة أخيار حكماء فضلاء لديهم معرفة بأمور النفوس وحالاتها وما يتبع ذلك من أمور الأجساد وحالاتها . ولهذه المدينة سيرة حسنة جميلة يتعاملون بها فيما بينهم ، ولهم سيرة أخرى يتعاملون بها مع أهل المدن الجائرة [٧٥] .

ومدينة الإخوان هذه جمعوا فيها الجانب اليوتوبي بالواقعي . تتضح اليوتوبيا بعدة أمور أكدوها ، جاء فيها إن بناء مدينتهم يجب أن لا يكون على الأرض حيث تكون أخلاق سائر المدن الجائرة ، ولا تبنى على وجه الماء لكي لا يصيبها من الأمواج والاضطراب الذي يصيب أهل المدن على السواحل من البحار ، ولا يكون بناءها في الهواء مرتفعاً حتى لا يصعد إليها دخان المدن الجائرة فتكدر أهويتها . وبعد هذه الشروط أضافوا أن هذه المدينة يجب أن تكون مشرفة على سائر أهل المدن ليشاهد أهلها حالات أهل المدن الأخرى وفي دائم الأوقات . وإن يكون أساسها قائم على تقوى الله كي لا ينهار بناؤها ، وأن تُشيد على الصدق في الأقوال والتصديق في الضمائر ، وتتم أركانها على الوفاء والأمانة كيما تدوم ويكون كمالها على الغاية القصوى وهي الخلود في النعيم .

وبعد الانتهاء من هذه المدينة عندها سيبنون مركباً عبروا عنه بسفينة النجاة ، المستقلة بثقل الأجساد حيث المدينة مأوى الأرواح [٧٦] . لذا فمن أراد إصلاح نفسه ونجاتها من المادة وعلائقها بوصفها مانع يحول دون الترقي الى ملكوت السماوات والدخول في زمرة الملائكة والسيحان في فسحة عالم الأفلاك والارتفاع الى درجات الجنان والتنسم من ذلك الروح والريحان ومن رغب بذلك عليه بصحبتهم والانضمام لجمعيتهم بوصفهم إخوان نصحاء فضلاء كرماء يعينون من صاحبهم على الصلاح والنجاة وهم خلعوا عن أنفسهم خدمة أبناء الدنيا وجعلوا كل جهدهم طلب نعيم الآخرة ، ومن أراد نيل هذه الأمور يجب عليه أن يسلك مسلكهم والتخلق بأخلاقهم ومعرفة علومهم وأسرارها فضلاً عن اعتقادهم وأكدوا مكانتهم قائلين : ((. . . إذا دخلت مدينتنا الروحانية ، وسرت بسيرتنا الملكية ، وعملت بسنتنا الزكية ، وتفهمت في شريعتنا العقلية ، فلعلك تؤيد بروح الحياة ، لتنظر الملأ الأعلى ، وتعيش عيش السعداء ، مخلداً مسروراً أبداً بنفسك الباقية الشريفة الفاضلة ، لا بجسدك المظلم الثقيل المستحيل الفاسد الفاني . . .)) [٧٧] . هذا فيما يتعلق بالجانب اليوتوبي والذي بموجبه منحوا مدينتهم بعداً دينياً وهم بالغوا بلا شك في إعلاء شأن مدينتهم ويبدو إنهم انتبهوا لهذا الأمر لذا حاولوا العودة لعالم الواقع حيث بينوا أن عبادة الله ليس كلها صوم ولا صلاة ، بل عمارة الدين والدنيا جميعاً إذ أرادهما الباري عامرتين ، فمن سعى في صلاح احدهما أو كليهما فأجره على الله مالكهما جميعاً . وأبغض عباده من سعى في فسادهما أو فساد احدهما [٧٨] .

ومن الأفكار الواقعية عندهم أيضاً ، تقسيم الناس الى أربع طبقات رئيسية ، حيث تبدأ من الأدنى الى الأعلى ، وعلى الأدنى الخضوع لمن هو أعلى منه وهم الصناع ، ذوي الرياسات ، الملوك ، الإلهيين . وعندها يكون تدبير ذوي الصنائع يجري في المرؤوسين كسريان الضوء في الهواء ، وكسريان القوة النامية في العناصر الأربعة (النار ، الهواء ، الماء ، التراب) . وتسري سياسة ذوي الرياسات على الصناع كسريان الألوان في الضياء ، أو سريان القوة الباصرة في إدراك الألوان ، أو كسريان القوة

الناطقة في القوة الحيوانية . أما مشيئة الإلهيين على الملوك فيكون مثل سريان العقل في المعقولات ، أو القوة الملكية في القوة الناطقة . والمدينة إذا سار أمرها على هذه الشاكلة عندها أصبحت سيرتها كريمة حسنة ومن الواجب التعامل بها بينهم . وطبقات الناس في مدينتهم الفاضلة يعتمد تفاوتها على مدى إلمام الإنسان بعلم النفس وجوهرها بعد أن يقرأ رسائلهم الإحدى والخمسين وعلى صفاء جوهر النفس وجودة القبول وسرعة التصور وعلى أساس العمر أيضاً [٧٩] وعلى ضوء هذه المعطيات كانت الناس تباعاً .

١ – ذوي الصنائع ، ورمزوا لهم بالقوة العاقلة التي تميز معاني المحسوسات الواردة على القوة الناطقة الواردة على الجسد بعد خمسة عشر سنة من مولده – ويلقبونهم بـ (الإخوان الأبرار والرحماء) .

٢ – الرؤساء ، ذوي السياسات ، وشبهوهم بالقوة الحكمية الواردة على القوة العاقلة بعد ثلاثين سنة من العمر ويسمونهم بـ (الإخوان الأخيار الفضلاء) .

٣ – الملوك ذوي السلطان والأمر والنهي ، ومثلهم القوة الناموسية الواردة على النفس بعد مولد الجسد بأربعين سنة وهم (الإخوان الفضلاء الكرماء) .

٤ – الإلهيون ذوي المشيئة والإرادة ، ومثلوهم بالقوة الملكية الواردة على النفس بعد خمسين سنة من مولد الجسد . وهي أعلى المراتب كونها ممهدة للمعاد ، وهي خاصة من تجرد عن المادة وضعت نفسه حيث ترد عليها قوة المعراج وتصعد الى ملكوت السماء فتشاهد أحوال القيامة من البعث والحشر والنشر والحساب والميزان والجواز على الصراط ، والنجاة من النيران ودخول الجنان ومجاورة الرحمن ذي الجلال والإكرام والى هذه المرتبة أشار إبراهيم وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم . وأثنى عليها الفلاسفة كسقراط وأفلاطون وغيرهم [٨٠] . وهم يعنون بها مرتبة العرفاء أو المتصوفة الذين وصلوا طور الولاية .

هذا كل ما يتعلق بالمدينة الفاضلة وبالمواضيع التي بين جنباتها أوردناها بما يتلائم مع موضوع بحثنا .

رابعاً : - إخوان الصفاء آراء ومواقف

إذا كنا في الفقرات السابقة تكلمنا عن عناوين سياسية واضحة كأنواع السياسات والدولة والمدينة الفاضلة ففي هذا الموضوع نتطرق لقضايا متنوعة أكدوها ولم يعطوها عنواناً واضح المعالم ، وهي بالحقيقة تحمل في طياتها أهدافاً سياسية وهي لا تبدو واضحة للوهلة الأولى لمن يقرأها لأنها تدور حول موضوع وحدة الأرض ، ووحدة العلوم والمذاهب والأديان . أكدوا حول الموضوع الأول أن الأرض واحدة ولكنها قسمت لأغراض سياسية حيث رسمت الخطوط الوهمية من قبل الملوك والأولون الذين طافوا في الربع المسكون لغرض معرفة حدود البلدان والممالك والمسالك . وأما ثلاثة أرباعها الباقية فمنعهم من الوصول إليها عوامل التضاريس الصعبة كالجبال الشامخة والمسالك الوعرة والبحار والأهوية المتغيرة من حيث البرد والحر المفرطان والظلمة [٨١] .

أما وحدة الأديان والمذاهب والعلوم فقضية بثوها في مختلف رسائلهم إذ نجد أفكاراً مأخوذة من مختلف الشعوب سواء كانت علمية أم دينية ، تجد أفكاراً مأخوذة من المجوسية [٨٢] وأخرى من الهنود [٨٣]

وغيرها من اليهودية والمسيحية [٨٤] فضلاً عن الأفكار المأخوذة عن الصابئة [٨٥] . فهم ببساطة يجمعون نوح مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (صلوات الله عليهم أجمعين) وبجانبهم أفلاطون و عاذيمون واليزدان و أهرمن ، ومصداق ذلك بدعوتهم الناس الى الركوب معهم في سفينة النجاة التي بناها نوح (ع) للنجاة من طوفان الطبيعة ، لينظر ملكوت السماء التي رآها إبراهيم لما جن عليه الليل ، حتى يكون من تبعهم من الموقنين ليتمم الميعاد ويجيء الى الميقات عند الجانب الأيمن حيث قيل يا موسى ، فيقضى إليه الأمر وعندها يكون من الشاهدين . أو يصنع ما عمل فيه القوم كي ينفخ فيه الروح فيذهب عنه اللوم حتى يرى إلا يسوع عن ميمنة عرش الرب قد قرب مثواه كما يقرب ابن الأب أو ترى من حوله من الناظرين . ((. . . أو هل لك أن لا ترقد من أول ليلة القدر حتى ترى المعراج من حيث طلوع الفجر ، حيث احمد المبعوث في مقامه المحمود . . . أو هل لك أن تخرج من ظلمة أهرمن حتى ترى اليزدان قد أشرق منه النور في فسحة افريحون . . . أو هل لك أن تدخل الى هيكل عاذيمون حتى ترى الأفلاك التي يحيكها أفلاطون)) [٨٦] . وقضية الجمع تتضح أيضاً في حديثهم عن عبادتهم الشهرية . فكانت لهم في كل شهر من شهور السنة اليونانية ثلاثة أيام في كل شهر يوم في أوله ويوم في وسطه ويوم في آخره . حيث أدخلوا ضمن هذه العبادة بالإضافة الى الطهارة والوضوء وأداء الصلاة وتأمل الكتاب المبين والتفكر في الملكوت والبكاء والاستغفار والتوبة وذبح القرابين ، وتوجه الإنسان الى الله بحسناته وصالح أعماله ويدعو بالدعاء الأفلاطوني والتوسل الادريسي والمناجاة الارسطوطاليسية [٨٧] .

فالإخوان عندما جمعوا الأنبياء بالفلاسفة حاولوا أن يعللون هذا الجمع مؤكدين إن الديانات كلها واحدة من حيث الجوهر متعددة بتعدد الشرائع في العرض ، فالأنبياء عليهم السلام لا يختلفون بظاهر أو باطن فيما يعتقدون من الدين سراً وعلانية ، بل يشتركون بنفس الاعتقادات والخصال ، وما الاختلاف في الشرائع إلا لأن الأنبياء أطباء للنفوس واختلاف شرائعهم عائد لاختلاف الأمراض التي يعالجونها إذ الأعلال التي تصيب النفوس تختلف عند كل أهل زمان تابعة لاختلاف الأخلاق الرديئة والعادات الجائرة والآراء الفاسدة من الجهالات المتراكمة لذا كانت شريعة نوح في زمانه وقومه ، وشريعة إبراهيم في زمان وقوم آخرين ، وكذا شريعة موسى وعيسى وسيد الأنبياء محمد (ص) [٨٨] .

ومثلما أخذوا أفكاراً من مختلف الأديان أخذوا بدورهم أفكاراً من مختلف المذاهب الفكرية داخل العقيدة الإسلامية من معتزلة وأشاعرة وشيعة ومتصوفة . ناهيك عن مذهبهم الفلسفي الذي جمعوا فيه سقراط وأفلاطون وأرسطو وفيثاغورس وأفلوطين [٨٩] .

وهكذا تبنوا مذهباً فكرياً قائماً بأخذ أفكاراً من مختلف العلوم والمعارف منطلقين من مبدئهم المعروف بعدم معاداة أي علم من العلوم ، ولا التعصب لأي مذهب من المذاهب ولا هجران كتاباً من كتب الحكماء والفلاسفة فيما وضعوه أو ألفوه في فنون العلم . وإنهم على الرغم من ذلك جعلوا اعتمادهم وبناء أمرهم قائم على كتب الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، بما جاؤوا به من التنزيل ، وما ألقت إليهم الملائكة من الأنباء وحياً وإلهاماً [٩٠] .

هكذا برر الإخوان جمعهم لمختلف الديانات والمذاهب والعلوم . ولكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : هل استطاع الإخوان إقناع قراء رسائلهم في زمانهم بصحة هذه المسوغات التي قدموها أم لا ؟ وكيف فهمت محاولاتهم من قبل الباحثين المتأخرين ؟

أما بالنسبة للسؤال الأول فنقول أن أوضح إجابة هي تلك التي قدمها أبو حيان التوحيدي حيث وصفهم أولاً ونقدهم ثانياً لمحاولتهم جمع الدين والفلسفة . حيث أعلن ، أن هذه العصابة قد تألفت بالعشرة ، وتصافت بالصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا إنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله والمصير الى جنته وذلك إنهم قالوا : الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، وذلك لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية . وزعموا انه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال . وعندها كتبوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة علميها وعمليها ، وأفردوا لها فهرستا وسموها (رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء) وكتموا أسماءهم وبثوها في الوراقين ولقنوها للناس . مدعين إنهم فعلوا ذلك ابتغاء وجه الله [٩١] .

أما موقفه النقدي فيتجلى بأنه رأى جملة منها فكانت مبثوثة من كل فن ثُتفاً بلا إشباع ولا كفاية ، وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات ، وقد غرق الصواب فيها لغلبة الخطأ عليها . بل وحمل منها نسخاً لشيخه أبي سليمان السجستاني محمد بن بهرام فأعلن بعد اختبارها والإطلاع عليها أن هؤلاء تعبوا وما أغنوا ونصبوا وما أجدوا ، وحاموا وما وردوا ، وغنوا وما أطربوا ، ونسجوا فهلهلوا ومشطوا ففلفلوا . لأنهم أرادوا دس الفلسفة التي هي كما يرى السجستاني علم النجوم والأفلاك والمجسطي والمقادير وآثار الطبيعة ، والموسيقى المتمثلة بمعرفة النغم والإيقاعات والنقرات والأوزان ، والمنطق القائم على اعتبار الأقوال بالإضافات والكميات والكيفيات في الشريعة ، وأن يضموا الشريعة للفلسفة وهذا أمر ممنوع عنه لأن قبل هؤلاء قوم كانوا احد أنياباً وأعظم أقداراً وأوسع قوى . فلم يتم لهم ما أرادوا وما جنوه هو لوثات قبيحة ولطخات فاضحة وعواقب مخزية وأوزار مثقلة وألقاب موحشة [٩٢] فدعوة الإخوان ذات الموسوعية العلمية المحاولة في نفس الوقت للتوفيق بين الفلسفة والدين جوبهت بالرفض ، من قبل التوحيدي والسجستاني . ولم تقف عندهما وحسب بل نجد أبو حامد الغزالي يحذر من قراءة رسائل إخوان الصفاء لأن مؤلفها كما ذكر قد استشهد بآيات من القرآن وأخبار الرسول وحكايات السلف وكلمات الحكماء والصوفية أوردت لاستدراج قلوب الحمقى بواسطتها الى باطله ، فقد يستحسنها ويقبلها من قرأها ويحسن اعتقاده فيها فيسارع الى قبول باطلهم [٩٣] .

ولم تكن قضية الرفض خاصة بأفراد كالمفكرين الذين ذكرنا أسماءهم ، بل وصلت قضية الرفض لتصبح حالة جماعية وقضية سياسية وخير مثال على ذلك أمر الخليفة المستنجد في عام (٥٥٤ هـ - ١١٥٠م) بأن تحرق رسائل الإخوان كلها ، الموجودة منها في المكتبات الخاصة أو العامة في ذلك الوقت بمعية مؤلفات ابن سينا [٩٤] .

وهكذا رفضت آراء الإخوان كما رفضت كل الحركات التي تدعو الى التعددية الدينية ، ودعوتهم تشبه ما أكده بعض مفكري الغرب الذين نادوا بالتسامح الديني أو التعددية الدينية التي جوبهت بالمعارضة ، فهكذا أمر لا يقبله أرباب الأديان وعلماء المذاهب ، وليس من المستبعد أن يكون سبب كتمان الإخوان أسماءهم مرجعه تجنب النقمة التي تصيب كل من يسعى الى نشر هذا اللون من الفكر (٩٥) .

أما عن كيفية فهم الباحثين لمحاولات الإخوان التوفيقية بين مختلف الأديان والمذاهب والعلوم ، فقضية احتدم حولها اختلاف في وجهات النظر وتفاوت في التعليل .

فهمها البعض بأنها الغنوص بمعناه القائم على أساس المزج بين المذاهب المختلفة من فارسية وسريانية وأفلاطونية وفيثاغورية ورواقية بالدين المسيحي واليهودي . وإن الإخوان تأثروا بالغنوصية الفارسية الثنوية ولاسيما المانوية التي كانت أشد عداوة للإسلام (٩٦) أو هو الغنوص Gnosis بمعنى الانتقاء Eclect حيث يصف الإنسانية بأنها من أصل سماوي ، وتسعى للرجوع الى الله والفناء فيه وذلك تلاش يوصل إليه بالحكمة ، وهذا ما فعله المؤلفون الغنوصيون والأفلاطونيون المحدثون (٩٧) .

وبعضهم بيّن إن الإخوان ليس لديهم مذهب محدد ، حيث أعلن احد الباحثين أنهم ليسوا شيئاً بذاته ، بل هم كل شيء تعاليمهم كقوس قزح من حيث تعدد الألوان (٩٨) وظاهر محاولتهم جعل المطالع لرسائلهم يعتقد إنهم يسعون لإعادة الوحدة الى الإسلام والجمع بين المسلم والنصراني والمجوسي واليهودي . . . الخ وتوجيههم إلى غاية واحدة هي الحقيقة المطلقة ، أما غايتهم الباطنية فهي بالإضافة إلى ميلهم للعلوية يسعون لإقامة نظام سياسي جديد مع ميل خفي للمجوسية الفارسية المعدلة بالوثنية الإغريقية (٩٩) .

ومن الباحثين من أعلن أنهم بلغت نظرتهم للعالم في دين جامع أو كوني تجاوز تنظيم كل الأديان أحسن كخدمة أيضاً لكثرة اختلاف سلالم ذروة الحقيقة ، هذه الجماعة كانت ترتبط بالحركة الإسماعيلية امتصت عناصر الفلسفة اليونانية التي رفضها أرثوذكسيو الإسلام ، ولكنها قربت لتجديد براءة اختراع ، نظريات شرقية ومواقف عن الدين والطبيعة حقيقية فضلاً عن أفكارها المؤثرة لتطور قوة الآخر روحياً في الإسلام والتصوف (١٠٠) .

وقضية الدين الجامع عللها بعض الباحثين أن الإخوان رأوا إن النزاع سواء كان سياسياً أو اجتماعياً أو دينياً راجعاً لتعدد الأديان والمذاهب ، والجنسية والقومية في الخلافة العباسية فأرادوا أن يبذلوا جميع تلك الخلافات في مذهب واحد جامع مبني على أفكار مأخوذة من أديان ومذاهب مختلفة . وهذا ما عملته المانوية مثلاً حيث كانت بين المجوسية والمسيحية ، ومذهب السيخ في الهند الذي كان جمعاً بين الهندوكية والإسلام (١٠١) .

وذكر يوحنا قمير إن الإخوان سعوا الى إصلاح عام وشامل منطلقين من فكرة الوحدة – الله واحد ، وأصل العدد واحد ، وعنه صدر كل شيء ، النفس الكلية واحدة عنها فاضت النفوس وإليها تعود ، العالم واحد وإن كثرت أعضائه ، البشرية واحدة وإن تنوعت شعوبها وأخلاقها وألوانها . . . الخ الدين واحد وإن تعددت الشرائع ، الحقيقة واحدة مهما تباينت آراء الفلاسفة وتضاربت نظريات العلماء (١٠٢) وعندها ذكر

قول الإخوان حول الإنسان المكتمل من حيث كل الجوانب : ((وأن يصبح كل واحد منهم مثل ذاك العالم الفاضل ، الفارسي النسبة ، العربي الدين ، العراقي الآداب ، العبراني المخبر ، المسيحي المنهج ، الشامي النسك ، اليوناني العلوم ، الهندي البصيرة ، الصوفي السيرة)) [١٠٣] .

هكذا تنوعت وجهات نظر الباحثين حول قضية موسوعية آراءهم فكانت عند البعض التسامح الديني وعن آخرين النزعة التوفيقية ، وفهم آخرون بأنها الدعوة الى دين جامع هذا الدين الذي يذكرنا بمحاولة المفكر الانكليزي ارنولد توينبي فيما بعد عندما دعا أو تمنى أن تنجح الحضارة الغربية في توحيد أبناء الحضارات المختلفة في موكب متجانس ، وقيام ديانة جامعة توفق بين أربعة أديان هي الهندوكية والبوذية والمسيحيةوالإسلام ، فتأخذ من الإسلام روح الأخوة الإنسانية ، وعن المسيحية مُـثلها العليا وعن الهندوكية والبوذية نبالة الروح المسالمة ، وهكذا ديانة علامة على مطلع حضارة عالمية جديدة [١٠٤] .

وفهمت أيضاً بمعنى الغنوص ، وفهمت أيضاً بأن وراء هذا العمل هدف سياسي .

ونحن نقول إن ما فعله الإخوان وما ذكروه من مواقف عن الأديان والمذاهب والعلوم أمر لا يخلو من غاية أيديولوجية [١٠٥] تكمن فيها غاية سياسية . وهذا الاستنتاج نذكره على الرغم من أدعاء إخوان الصفاء بأنهم ضد الحروب ويرفضونها بكل الأوقات ، مطالبين ضرورة الابتعاد عن مواضعها إذ أنهم ليسوا أشراراً ولا أصحاب فتنة ، وإنما أصحاب خير وسلامة وعبادة وزهادة وعلم وحكمة [١٠٦] وإن على أصحابهم مغادرة الأماكن التي تحصل فيها المنازعات والخلافات كي لا يظلموا أحداً أو يتعدون عليه [١٠٧] وعلى الرغم مما ذكروه فان بعض مفاهيم الأيديولوجية تنطبق عليهم . وهي إنها تتمثل بالعقائد التي يقدمها حزب أو فئة اجتماعية على أنها ضرورة عقلية هدفها تبرير مخططات معينة إرضاءً لغايات مصلحية ، وتحقيق مطلب عاطفي [١٠٨] . بل تتجلى بمعنى الحفاظ على الوحدة في كل الكتلة الاجتماعية التي تربطها وتوحدها أيديولوجية معينة بالذات ، حيث قوة الأديان كانت وما تزال تؤكد على الوحدة العقائدية للكتلة المتدينة [١٠٩] فالإخوان قدموا عقائداً من جانب وأكدوا ضرورة الأخذ بها من جانب آخر ودعوا الى وحدة جماعتهم وتبرير الأمور لصالحهم .

هذا فيما يرتبط بالأيديولوجية ، أما الغاية السياسية فنناقشها تحت عنوان آخر هو

خامساً : ـ حقيقة آراء الإخوان السياسية

إذا كنا ناقشنا في الفقرة السابقة قضية دعوة الإخوان الى دين جامع ، يأخذ أفكاراً من مختلف الأديان السماوية وغير السماوية . فنود الآن توضيح موقفهم الحقيقي من الدين الذي كانوا يدعون لتعميمه ، بل وإلى اللغة التي كانوا يرغبون بفرضها فنقول لو تميزت الأمور في حقيقة الدين الذي دعا الإخوان إليه لوجدناه الدين الإسلامي ، والدولة التي كانوا يأملون قيامها هي دولة عربية في قوميتها ، فأرادوا أن يكون الإسلام ديناً عالمياً والعربية لغة يجب فرضها على سائر اللغات ، ومصاديق هذه الأمور تتضح تباعاً .

أكدوا أن كل حكيم أو ملك يقهر قوم معينين فهو ينقل العلم والحكمة والدين والشريعة من لغتهم الى لغته ، أي من أمة الى أمة وهذا ما فعله سليمان (ع) حيث نقل العلوم والحكمة من جميع اللغات الى العبرية ،

وفعل ذلك الروم لما غلبوا اليونان حيث نقلت علومهم الى الرومانية [١١٠] وعمل الإسلام على توحيد العرب على الرغم من الاختلافات الكثيرة فجمعتهم لغة واحدة هي العربية ، بل وحد البشر على الرغم من اختلاف لغاتهم وأهوية بلادهم وتباين مواليدهم – جمعهم كلهم الإيمان بأصول الدين من توحيد ووصف الباري بما يليق به من الصفات ، والإقرار بنبوة محمد (ص) ، وتمسكهم بالكتاب المنزل مقرون بإيجاب شريعته (ص) حيث كان من معجزات محمد (ص) وفضله انه كان يخاطب كل قوم بما يفهمونه حسب مكانتهم وتصوراتهم ومداركهم ، وكان هذا سبباً في اختلاف الروايات وكثرة المذاهب عندهم في قضية الخلافة من بعده [١١١] وأخذوا يتنازعون فيما بينهم طلباً للرياسة والمنزلة الى أن وصلت الحالة عند بعضهم الى هتك حرمة النبوة ، وقتل آل بيت الرسالة وما فعله ابن زياد في كربلاء ، وما كان من الفتنة التي شملت أهل الشريعة المحمدية والعصبة الهاشمية من قتل بعضهم بعضاً – ويقول الفعلة ويقصدون بهم بالتأكيد بني أمية أن ذلك كله حصل بقضاء الله وقدره ، وهم بلا شك قالوا ذلك ليبرئوا أنفسهم مما فعلوا من أعمال وحتى لا يلعنوا على الألسنة ولا يسبوا عند ذهاب أيامهم ودولتهم ، لذا جعلوا من هذا الاعتقاد مذهباً وأقدموا على المعاصي وإن ردّ احد عليهم قالوا له أنت قدري كافر [١١٢] .

وعلى المسلمين إذا أرادوا أن يظهر دين الإسلام على جميع الأديان واللغة العربية على سائر اللغات أن يتركوا الاختلاف المذموم في المذاهب والآراء ، إذ جعل الإسلام أعلى من الأديان والعربية أعلى اللغات وهذا أمر أراده الله تعالى ، من أجل إن القرآن أشرف كتاب أحكمه ، وانه لا يقدر احد من الأمم على اختلاف لغاتهم أن يحيله عما هو به ، من اللغة العربية الى لغة غيرها ، لأنه لا يمكن أن يُنقل البتة لما هو به من الاختصار والإيجاز . ولا سبيل الى اجتماع الناس على كلمة واحدة إلا بمجاهدة المجاهدين لأهل الباطل ، وإن يتحول الخامدون في الناموس الى آمرين بالمعروف فاعلين له ، وعلى الناهين عن المنكر ناهين أنفسهم أولاً وأن لا تأخذهم في الله لومة لائم [١١٣] . مما تقدم بات واضحاً حقيقة الدين واللغة اللتان يقصدانها . بل ونجد موقفهم الحقيقي من الأديان التي مدحوها ، ولا بأس هنا من ذكر ما قاله دي بور : ((. . . إن الإخوان حبسوا موقفهم السلبي والنقدي من المجتمع الإنساني والأديان واحتاطوا في استخدام الثوب الرمزي في كتاب الحيوانات والرجل فعبروا على ألسنة الحيوانات ، وهي لو قيلت بفم إنساني لشكلت ريبة عند المستمع)) [١١٤] ويُقصد بهذا الكتاب هو الرسالة الثامنة من الجسمانيات الطبيعيات في كيفية تكوين الحيوانات وأصنافها وهي الرسالة الثامنة والعشرون من رسائل إخوان الصفاء [١١٥] ويبدو أن دي بور أقتبس هذه التسمية من احد فصولها (في بيان شكاية الحيوان من جور الإنس) [١١٦] . فهم في هذه الرسالة نقدوا واقعهم السياسي أيضاً فضلاً عن محاولاتهم لتغييره .

أما عن موقفهم النقدي من الأديان والمذاهب فنوضح ما أكدوه في هذه الرسالة ورسائل أخرى ، أما موقفهم السياسي فنذكره لاحقاً وبشكل مفصل .

أما عن نقدهم للأديان فنبدأ بالفرس ، ذكر الإخوان إن الفرس لديهم جفاء الطبع ، وفحش اللسان ، ونكاح الغلمان ، وتزويج الأمهات وعبادة النيران ، والسجود للشمس دون الرحمن [١١٧] .

نقدوا الهنود على حرقهم أجساد الموتى ، وعبادة البدور والأصنام والقردة ، وكثرة أولاد الزنا [١١٨] ولم يكتف الإخوان بنقد الفرس والهنود بل نقدوا اليهود ، والمسيحيين ، وبعض الفرق الإسلامية . فبالنسبة لليهود ذكروا إنهم بسبب سوء أعمالهم جعل الله منهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت ، أولئك شر مكاناً ، وأضل عن سواء السبيل ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وباؤوا بغضب على غضب ، ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم بما كانوا يعملون [١١٩] . وتمثل موقفهم من المسيحيين بأنهم كفروا عندما قالوا بثالث ثلاثة وعبدوا الصلبان ، وأكلهم لحم الخنزير في القربان ، وقالوا الزور والبهتان [١٢٠] وأضافوا في رسالة أخرى رفضوا معتقدهم القائل بأن بارئهم وإلهاهم روح القدس الذي قتله اليهود وصلب ناسوته ، وذهب لاهوته لما رأى ما نزل بناسوته من العذاب ، فتركه مخذولاً [١٢١] .

وأعربوا عن عدم رضاهم على المسلمين الذين اختلفوا بعد وفاة الرسول (ص) وأصبحوا شاكين منافقين وقتلوا الأئمة الخيرين الفاضلين [١٢٢] وقتل أهل الشرائع بعضهم لبعض كما يفعل النواصب والروافض والجبرية والقدرية والخوارج والأشاعرة [١٢٣] .

ونقدوا أيضاً المعتزلة لأنهم كما يرون يخوضون في المعقولات ولا يعلمون في المحسوسات ، يتعاطون البراهين والاقيسة وهم لا يحسنون الرياضيات ، يتكلمون بالإلهيات وهم يجهلون في الطبيعيات . كما نقدوهم على قولهم بفكرة التعديل والتجويز والجزء الذي لا يتجزأ [١٢٤] .

ورفضوا فكرة من قال من المسلمين بأن الإمام الفاضل المنتظر الهادي مختفٍ لا يظهر من خوف المخالفين . وعلقوا على ذلك إن صاحب هكذا رأي يبقى طول عمره ، منتظراً لخروج إمامه متمنياً لمجيئه ، مستعجلاً لظهوره ، ثم يفنى عمره ويموت بحسرة وغصة لا يرى إمامه ولا يعرف شخصه [١٢٥] وهنا نقدوا الشيعة الاثنى عشرية ، ليعلنوا انتماءهم للإسماعيلية . هذه حقيقة الدين عندهم وحقيقة المذاهب فلم يكن موقفهم إيجابي من أصحاب الديانات الأخرى ولا من المذاهب التي لا تتفق واعتقادهم حيث لجئوا الى الطريقة الرمزية لنقد الأديان التي أثبتوا في رسائل أخرى مكانتها . وهنا نطرح سؤالاً لماذا هذه الازدواجية إذ غازلوا في البداية مشاعر المتدينين ونقدوها فيما بعد ؟ هل كان ذلك مقصود أم هو مجرد تناقض في الموقف ؟ .

في الحقيقة إن الأمر ليس متناقض بل مقصود وراءه هدف سياسي هو نيل الأنصار والمؤيدين لهم والالتفاف حولهم وإن كانت أديانهم مختلفة ومذاهبهم متنوعة . فهم كانوا يسعون لإقامة ثورة ضد الحكومة القائمة آنذاك والذي دفعنا لهذا القول سنحصره في فقرتان أولها وصفهم لواقعهم السياسي المر وثانيهما تعبئة الجماهير لقيام ثورة .

١ – الواقع السياسي : - أعرب الإخوان عن عدم رضاهم على واقعهم السياسي في رسالة سبق وإن قلنا إنهم كتبوها بأسلوب رمزي دارت أحداثها على ألسنة الحيوانات جاء فيها أن الله لما سلط الملوك على الناس لم يسلطهم لجمع المال والتمتع بالشهوات واللذات ، وأنما كان الغرض من سلطة الملوك هو أن

يشكروا نعمة الله ومعاونة المظلومين وتخليص المكروبين [١٢٦] والحكم بالعدل ويرحموا أهل البلاء ويجبروا الخلق على أحكام الشريعة والحكم بالحق [١٢٧] .

غلاضة طبع الجيوش وقادته وولاة الحرب واتصافهم بالقوة والجلد والغلبة والقهر والحقد والغارات والخصومات ، والتكبر والخيلاء والختل والحيلة والسرقة والمجانة واللعب واللهو والكذب ، والتملق وثقل الأرواح ، والأضرار والإفساد والخراب [١٢٨] .استعانة الملوك والسلاطين بجند مستأمنين بهم وهم ليسوا أهلاً للمسؤولية حيث قالوا : ((. . . ليس شيء على الملوك أضر ولا أفسد لأمر رعيتهم من المستأمن من جندهم وأعوانهم الى عدوهم ، لأنه يعرف أسرارهم وأخلاقهم وسريرتهم وعيوبهم وأوقات غفلتهم ، والنصحاء من جنودهم والخونة من رعيتهم ، فيدله على طرقات خفية ومكايد دقيقة . . .)) [١٢٩] .

وهنا قدم الإخوان نقد ونصيحة في الوقت عينه حيث أكدوا ضرورة الاعتماد على الجند الوطنيين لا قليلو الولاء أو المأجورين وتلك الفكرة ، طرحها فيما بعد مكيافيلي في كتابه (الأمير) إذ رفض الاعتماد على الجنود المأجورة لأن هذا العمل سيجعل الأمير غير واثق من ملكه مطلقاً كون هؤلاء الجند لا يخضعون لنظام وهم أصحاب مطامع ولا أمانة لهم بل ولا يخشون الله ولا ولاء لهم ففي وقت السلم عالة عليه ، ووقت الحرب يخذلونه ، فأما أن يفروا وأما أن يهجروه تحت ذريعة إنهم لا يسلمون أنفسهم للقتل مقابل الأجرة الزهيدة التي لا تكفي [١٣٠] .

بل ذكر الإخوان عدم موضوعية الملوك مع الرعية والجنود وأعوانهم ، ساعين لجر منافعهم الشخصية ولا يراعون مصالح شعبهم فيميلون الى بعض ، ويبتعدون عن البعض الآخر سواء كانوا قرباء أو بعيدون ، مبتعدين عن الرحمة والشفقة والتحنن برعيتهم ، وهذا حصل لنسيانهم الاقتداء بسنة الله الرؤوف الجواد الرحيم بخلقه كلهم [١٣١] وهذا حال الخلفاء المفسدين الذين زعموا بأنهم ورثة الأنبياء ، ويسيرون بسيرة الجبابرة وينهون عن منكرات الأمور ويرتكبونها ، ويشربون الخمر وينادون الى الفجور ، اتخذوا عباد الله خولاً وأيامهم دولاً وأموالهم مغنماً، فبدلوا نعمة الله بالكفر واستطالوا على الناس افتخاراً وباعوا الدين بالدنيا ، وهم إذا ولي احدهم ابتدأ بالقبض على من تقدمت له حرمة لآبائه وأخلاقه ، فيزيل نعمته وربما يقتله أو يقتل أعمامه وإخوانه وأبناء عمه وأقرباءه ، وربما كحلهم (أي سمل عيونهم) أو حبسهم أو نفاهم وتبرأ منهم ، وتتمثل سوء أعمالهم بقتل أولياء الله وأولاد الأنبياء (ع) ويسبونهم ويغصبونهم على حقوقهم ، كل ذلك فعلوه بسوء ظنهم وقلة يقينهم مخافة أن يفوتهم المقدور أو رجاء نيلهم ما ليس في المقدور [١٣٢] .

تكلموا أيضاً عن تمسك الحكام بأقوال المنجمين ، وهذه صفة الطغاة من الحكام لأنهم يعتقدون ويؤمنون بكل ما يقولونه لهم معتبرين أمور الدنيا تدبرها الكواكب السبعة والبروج الأثنا عشر ، ناسين المدبر لها رب الأرباب ، ومسبب الأسباب ومالك يوم الدين . وعلى الحكام أن يعرفوا إن اللجوء للمنجمين لم ينفعهم من قضاء الله وقدره ، إذ التأمل بالماضي يؤكد مصداق هذا القول فهذا النمرود في زمن إبراهيم (ع) لم ينفعه المنجمين وكذا فرعون في زمن موسى (ع) [١٣٣] .

وناقشوا أيضاً قضية قتل النفس في الدين ، حيث أكدوا أن الدين لا إكراه فيه فهو لا يدعو لقتل النفس ، بل مسألة القتل تعود لسنة الدين الذي هو المُلك ، وعلى الرغم من أن الدين والملك توأمان ؛ إلا أن الدين مقدم على الملك ، فلا بد للملك من دين يدين به الناس ، ولابد للدين من ملك يأمر الناس بإقامة سنته طوعاً أو كرهاً ، ولهذه العلة يقتل أهل الديانات بعضهم بعضاً طلباً للرئاسة والملك ، وهكذا أصبح قتل النفس سنة في جميع الديانات والملل والدول كلها . ولكن الفرق بين الدين والملك هو أن قتل النفس في سنة الدين هي أن يقتل طالب الدين نفسه ، أما في الملك فيقتل طالب الملك غيره ، سنة الدين تتمثل بالجهاد في سبيل الله والقتل من أجل عقيدتهم الحقة ، بل قد يكون قتلها من فنون العبادات وأحكام الشرائع إذ يعتقد أن من أقرب القرابين الى الله أن يقتل التائب جسده ليكفر عن ذنوبه وهذا ما حصل في بعض الديانات . وذكروا ما يفعله البراهمة والمانية والمثنوية حيث تحرق أجسادهم بعد قتل أنفسهم (١٣٤) .

وهم بلا شك وجهوا نقداً لتصرفات الحكام الذين يقتلون الناس تحت طائلة خروجهم على الدين ، ليؤكدوا إنهم ما فعلوا ذلك لهذا السبب ، بل قتلوهم بوصفهم منافسين لهم كونهم مؤهلين لشغل منصب الرئاسة .

وأكدوا أيضاً أن الملك لا يدوم لأحد ، فأما الظلمة فأن الله لو أراد معاقبتهم جعل أصغر الحشرات تضر بأكبر الجبابرة ، فهذا النمرود أضرت به وقتلته حشرة صغيرة جداً (البعوضة) وهذا فرعون أرسل عليه جند من الجراد والقمل وأما الفضلاء فلا بد من زوال ملكهم في يوم من الأيام فهذا سليمان (ع) الذي جمع الله تعالى له الملك والنبوة وسخر له الجن والإنس ، فالجن عندما كانت تعمل لم تعرف بموته لجلوسه بالقرب منها إلا عندما أكلت الأرضة منسأته وخر على الأرض ساقطاً (١٣٥) .

أما عن وصفهم حال الفقهاء والعلماء في زمانهم فجاء على لسانهم ، أن هؤلاء تركوا التخلق بأخلاق الملائكة وأخذوا في ضروب من أخلاق الشياطين من حيث المكابرة والمغالبة والتعصب والعداوة والبغضاء ، فيما يتناظرون ويتجادلون ، فيكثر الصياح والسفاهة ، وهذه حالهم أيضاً في مجالس القضاء والحكام ، وهكذا ابتعدوا عن الأدب والعقل والنصيحة (١٣٦) .

إن الفقهاء والعلماء أصبحوا يتفقهون بالدين طلباً للدنيا وابتغاء الرئاسة والولاية والقضاء والفتاوى بآرائهم وقياساتهم فيحللون تارة ويحرمون تارة أخرى بتأويلاتهم ، ويبتغون ما تشابه ويتركون حقيقة ما أنزل الله من الآيات المحكمات نابذينها وراء ظهورهم ، كأنهم لا يعلمون متبعين ما تتلوه الشياطين على قلوبهم من خيالات . فاعلين كل ذلك طلباً للتكسب الدنيوي بلا ورع ولا تقوى من الله ، فأولئك وقود النار في الآخرة إذا لم يتوبوا الى الله ويستغفرونه (١٣٦) .

أما واقع القضاة والعدول المزكون لهم فحالهم بعد تولي المنصب هي التغيير في معاملتهم مع الناس بل الانقلاب قلباً وقالباً لذا وصفوهم بأنهم أشر الناس وأدهاهم وأبطرهم وهم أشر سيرة من الفراعنة والجبابرة ، وذلك أنك ترى الواحد منهم قبل الولاية قاعداً بالغدوات في مسجده حافظاً لصلاته ، مقبلاً على شأنه ، يمشي بين جيرانه على الأرض هوناً ، حتى إذا ولي الحكم والقضاء تراه راكباً بغلة فارهة (كيمة مليحة) أو حماراً مصدّرياً بسرج ومركب ، وغاشية (غطاء يحملها السودان) وخفاقين تتجّر

(نعلين مصوتين في الأرض) قد ضمن القضاء من السلطان الجائر بشيء يؤديه إليه من أموال اليتامى ومال الوقوف ، وصلاح عدوله بشيء من السحت والبراطيل ، فيقبل منهم الرشوة ، ويرخص لهم في الجنايات ، وشهادات الزور وترك أداء الأمانات والودائع ، فأولئك هم الذين وبُخوا في التوراة والإنجيل والفرقان [١٣٧] .

هذه الأوصاف وغيرها لواقع الإخوان من الناحية السياسية جعلت ثلة من الباحثين يحددون زمن ظهورهم حيث أرجع الى القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي فهذا القرن إيجابي من الناحية العلمية والثقافية والأدبية ، وموسوعية رسائل الإخوان التي حوت كل صنوف العلوم والمعارف دليلاً على ذلك [١٣٨] أما سياسياً فسلبي الى حد كبير .

ففي هذا العصر خصوصاً في منتصفه لم يبقَ للخلافة العباسية من الخلافة إلا الاسم ، فساد بنو بويه على فارس ، والحمدانيون على الموصل وديار بكر وربيعة ومضر ، والفاطميون على المغرب وأفريقية، والأمويون على الأندلس ، والقرامطة على اليمامة والبحرين [١٣٩] والدولة الأخشيدية في مصر، والإمارة الحسونية في كردستان ، وآل سامان سيطروا على خراسان وما وراء النهر ، وآل سبكتكين سيطروا على الهند وأفغانستان [١٤٠] حيث أصبح في الإسلام ثلاثة خلفاء في وقت واحد ، أحدهم في العراق ، والثاني في شمال أفريقيا والآخر في أسبانيا ، وكان التنافر السياسي والفكري حاداً فانقسم المسلمون الى فرق تتصارع بالسيف والكلام ، حيث سبق دخول الدولة البويهية بغداد انتشار الفساد وسط الحكام حتى عُدت أيام المقتدر أسوء الأيام إذ غلبت كلمة جواري القصر وخدمه على كلمة القواد والأمراء، وأنفقت أموال الدولة في غير محلها ، بل نالوا المناصب من هم ليسوا أهلاً لها خصوصاً الذين أرضوا أم الخليفة بما قدموه من رشوة [١٤١] . ناهيك عن محاولة القادة العسكريين كسب ولاء جنودهم ، فأطلقوا لهم العنان ، بل وصل الحد الى عدم احترام أوامر الخليفة وأخذوا يتدخلون في شؤون الشعب[١٤٢] كل هذه الاضطرابات أدت الى تدهور جوانب الحياة اقتصادياً واجتماعياً فتفشت المجاعات نتيجة إهمال قطاع الزراعة وارتفاع أسعار الحنطة ، وفرض الضرائب على المزارعين ومصادرة الأملاك ، حتى إن الجيش كان يمارس عملية السلب والنهب في بعض المناسبات [١٤٣] مما أدى الى قيام الثورات ، كالثورة الخرمية فضلاً عن نشاط التنظيمات السرية التي تسترت بالتشيع وإنهم يعملون في خدمة آل بيت النبي (ص) ومن ضمن تلك الجماعات كانت جماعة إخوان الصفاء التي ظهرت في البصرة وقت وجود البويهيون في العراق [١٤٤] . مقابل هذه الظروف الحالكة والمعقدة سعى الإخوان بلا شك لتعبئة الجماهير للقيام بثورة يغيرون بموجبها الأوضاع المتدهورة اقتصادياً واجتماعياً وأخلاقياً وسياسياً ودينياً .

٢ – وسائل الثورة الإخوانية : - انطلق إخوان الصفاء من عدة مبادئ سعوا الى ترسيخها في نفوس المستمعين لها حيث أعلنوا بدايةً أن دولتهم انقطعت بعد اختلاف الناس في الفترة التي تلت وفاة الرسول (ص) حيث قاسى ما قاسى أحق الناس من بعده ، وبعد ذلك ما أصاب الصحابة المساعدين في إقامة ناموسه (ص) كصديقه وفاروقه وذي النورين . وما لاقاه أهل بيت النبوة من حزن وأسف واغتصاب

لحقوقهم يوم كربلاء فعندها اختفت إخوان الصفاء وانقطعت دولة خلان الوفاء الى أن يأذن الله بقيام أولهم وثانيهم وثالثهم في الأوقات التي ينبغي لهم القيام فيها إذا برزوا من كهفهم واستيقظوا من طول نومهم . وبناء على ذلك جعلوا لظهور كل منهم عيداً حددوها بثلاثة عبروا عنها باستخدام مصطلح الأيام والتي هي في الحقيقة أربعة لا ثلاثة . أول يوم يمثل العيد الفاضل وهو يوم خروج أول القائمين الموافق لنزول الشمس برج الحمل لمجيء الربيع وهو يوم فرح وسرور . والثاني وهو يوم قيام الثاني الموافق نزول الشمس أول السرطان إذ فيه تصرم دولة أهل الجور وانقضاؤها وهو يوم فرح وسرور أيضاً. الثالث وهو يوم قيام ثالثهم الموافق نزول الشمس أول الميزان ودخول الخريف ، وهي مقاومة الباطل الحق وكون الأمر على خلاف ما كان عليه ، أما اليوم الرابع فيمثل الحزن والكآبة يوم رجوعنا الى كهف التقية والاستتار إذ الزمان لا يدوم بصفائه [١٤٥] فالإخوان أرادوا إضفاء صبغة دينية لدولتهم لما للدين من قيمة تأثيرية كبيرة على نفوس المسلمين ، بل حاولوا جمع أكبر عدد من الأنصار من خلال تأكيد الجوانب المشتركة بينهم وبين المسلمين فأكدوا إن مما يوثق المودة بين الإخوان ويجمع شمل الأصدقاء على ما فيه صلاح الدين والدنيا هي ملة الإسلام ، لأنه خير دين دان به المتألهون ، وأفضل طريق يسلكه الى الله القاصدون . والجامع الثاني هو محبة النبي وأهل بيته الطاهرين وولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خير الوصيين صلوات الله عليهم أجمعين ، والثالث هو حرمة الأدب والخروج من جملة العوام ، والتمسك بالأخلاق الجميلة والأفعال الحميدة وحرية النفس وصفاء جوهرها [١٤٦] وهنا حاولوا التأكيد على الشيعة لشحذ هممهم حصراً وتحديداً خصوصاً إعلانهم لبس السواد والمطالبة بثأر الحسين (ع) وإنهم طردوا البغاة من بني مروان ، الذين طغوا وتعدوا حدود الله والدين . وهم أي الإخوان منتظرين لخروج الإمام المهدي المنتظر من آل محمد (ص) [١٤٧] .

هذه مبادئ الإخوان التي أكدوها كمنطلقات لدولة المستقبل مؤكدين لأتباعهم أن وقت دولتهم قد حان وهي دولة أهل الخير حيث بينوا أن دولة أهل الشر تناهت وظهرت قوتهم وكثرت أفعالهم في العالم في هذا الزمان ، وليس بعد التناهي في الزيادة إلا الانحطاط والنقصان . ودولة أهل الخير حيث تبدأ بقوم علماء حكماء وخيار فضلاء يجتمعون على رأي واحد ويتفقون على مذهب واحد ودين واحد ، ويعقدون بينهم عهداً وميثاقاً، أن لا يتجادلوا ولا يتقاعدوا عن نصرة بعضهم بعضاً، ويكونون كرجل واحد في جميع أمورهم ، وكنفس واحدة في جميع تدابيرهم فيما يقصدون من نصرة الحق وطلب الآخرة لا يبتغون سوى وجه الله ورضوانه . لذا على من يرغب بصحبة هكذا إخوان نصحاء ، أخيار فضلاء فعليه أن يقصد مقصدهم ويتخلق بأخلاقهم ، وينظر في علومهم ليعرف مناهجهم وينجو بمفازاتهم حيث لا يمسه السوء والحزن [١٤٨] .

يتعلم ما ورد في رسائلهم من علوم مختلفة على إنهم سيوضحون له العلوم الخاصة بتركيب الفلك وأقسام البروج وحركات الكواكب وأمهات الأركان واختلاف جواهر المعادن وفنون أشكال النبات والحيوانات ، بل يعلمونه معرفة جواهر النفوس ومراتب مقاماتها واستيلاء بعضها على بعض ، وقواها وتأثيرها في

الأجسام من الأفلاك والكواكب والأركان والمعادن والنبات والحيوان وطبقات الناس المختلفة ، كل هذه القضايا يعلمونها لمن يحضر مجالسهم [١٤٩] تلك المجالس السرية التي يتذاكرون فيها علم النفس والحس والمحسوس ، والعقل والمعقول ، والنظر في أسرار الكتب الإلهية والتنزيلات النبوية ومعاني ما تضمنتها موضوعات الشريعة فضلاً عن دراسة العلوم الأربعة الرياضية ، العدد ، الهندسة ، والتنجيم والتأليف ، على أن يكون جل الاهتمام بالعلوم الإلهية . ناهيك عن التحاور في أسرارهم [١٥٠] فهم التزموا الطريقة السرية في تعليم أصحابهم وتوضيح حقائق الأمور لهم وهنا تتضح مدى حرصهم على عدم انكشاف أمرهم من قبل الحكام وإن كان هناك من يرى أن السرية في التعليم وتوزيع نسخ من رسائلهم سراً في المساجد سببها رأي التعليم الإسماعيلي بتوعية من له القدرة على المعرفة بأن هناك أموراً وراء الشريعة لا يفهمها إلا الكفء [١٥١] ومن قال بذلك معذور لأن الإخوان أنفسهم في احد المواضع من رسائلهم بينوا أننا لا نكتم أسراراً عن الناس خوفاً من سطوة الملوك ذوي السلطة الأرضية ولا حذر من شغب جمهور العوام ولكن صيانة لمواهب الله عز وجل وأنهم يطمحون الى ملك سماوي [١٥٢] ولو فرضنا صحة ما أكدوه جدلاً فلماذا نراهم في نهاية رسالة الحيوان التي بينوا واقعهم بطريقة رمزية يقولون ما نصه : ((ثم أعلم أيها الأخ أنا قد بينا في هذه الرسالة ما هو الغرض المطلوب ، ولا تظن بنا ظن السوء ، ولا تعد هذه الرسالة من ملاعبة الصبيان ، ومخارفة الإخوان ، إذ عادتنا جارية على أن نكسو الحقائق ألفاظاً وعبارات وإشارات ، كي لا يخرج بنا عما نحن فيه ، وفقكم الله لقراءتها واستماعها وفهم معانيها ، وفتح قلوبكم وشرح صدوركم ونور بصائركم بمعرفة أسرارها ، ويسر لكم العمل بها)) [١٥٣] فالسرية في التعليم أسلوب آخر من أساليب التمهيد لقيام دولة جديدة وطريقة مفيدة لاختبار إمكانية الأعضاء فكرياً وعملياً حيث ذكروا في الرسالة الجامعة أن المدة بين مجلس وآخر هي اثنتي عشر يوماً فيأتونه بعد أن يأمنوا فيه على أنفسهم ويجتمعون على تقوى الله ، ولا يغيب احداً منهم إلا لعذر ، فيخرج لهم من يتولى المجلس بهيبة ووقار وسكينة ويلقي عليهم من حكمته حسب ما تحمله عقولهم [١٥٤] ويختبر من أثبتوا جدارة في العلوم بمواطن المحبوبات عندهم فيأمرهم بترك الأوطان ومفارقة الأحباب وما يلحق ذلك من أيتام الأولاد وترمل النساء ، وإنفاق الأموال والجهاد بالنفس ، ومتى نجحوا عندها يستخلصهم ويقرأ عليهم ما غمض من الأسرار المخزونة في الرسالة الجامعة ، ويشرح الكتب الأخرى وهي المدارس الأربع ، والكتب السبعة ، والجفران ، والرسائل الخمس والعشرون [١٥٥] والرسائل الإحدى والخمسون [١٥٦] .

والإخوان ركزوا في جمعيتهم على الشباب حيث أكدوا على الفتيان الأخيار النجباء المتأدبين المتهذبين الفقهاء الأذكياء كي يمنحونهم الحكمة معللين هذا الاختيار بأن الله لم يبعث نبياً إلا وهو شاب ولا أعطى الحكمة لعبد من عباده إلا وهو حدث من الفتيان وعندها صرحوا بأن من وجد صديقاً بهذا الوصف عليه أن يغتنمه ويعرفوا إخوانهم الباقين ويستبشروا بالنصر والتأييد من الله عز وجل [١٥٧] والشباب مصدر مهم وفاعل بل هم رمز للطاقة والحيوية فالتأكيد عليهم إذن لا يخلوا من مآرب سياسية خصوصاً وإن

الإخوان عظموا القربان الذي سموه بالفلسفي ومعناه التضحية بالأجساد أو التقرب بها الى الله تعالى بتسليمها الى الموت وترك الخوف منه [١٥٨] .

أما الخطوة الأخرى لبث الدعاية للحكومة الجديدة هي بث العيون والأنصار بمختلف مؤسسات الدولة ومن مختلف الطبقات الاجتماعية ومصداق ذلك ما ذكروه بأن لهم إخوان وأصدقاء متفرقين في البلاد منهم من أبناء الملوك والأمراء والوزراء والكـُتاب والعمال ومنهم من أبناء التجار والعلماء والأدباء والفقهاء ، ومنهم أولاد الصناع والمتصرفين . . . الخ وندبوا لكل طائفة شخصاً ينوب عنهم بإلقاء النصيحة إليهم بالرفق والرحمة ليكون لهم عوناً بدعوتهم الى الله تعالى وما جاءت به الأنبياء وأشارت إليه الأولياء من التنزيل والتأويل لإصلاح أمر الدين والدنيا جميعاً ويلقي عليهم من حكمة الإخوان وأسرار علومهم ، فإذا واجه شخص جديد وأراد كسبه فعليه أن يعرف حاله لكي يقدموا له المساعدة فإن كان ممن يخدم السلاطين والملوك سيوصون أخوانهم ممن بحضرة السلاطين والملوك بالنيابة عنهم والنصيحة لهم وحسن الرأي فيه لدى الملوك والسلاطين والوزراء ، وإن كان من أبناء الدّناء والدهاقين والأشراف وأرباب الصناع يوصون إخوانهم ممن يتولى عمل السلطان بصيانته وحسن معاونته في ملته وكف الأذية عنه وقبض أيدي الظالمين عن البسط إليه ، وإن كان من أبناء أصحاب النعم وأرباب الأموال عاونوه بحسب ذلك ، وإن كان من الفقراء والمحتاجين يواسونه مما أتاهم الله من فضله ، وأن كان ممن يرغب بالعلم والحكمة والآداب وأمر الدين وطلب الآخرة يعلمونه مما علمهم الله ويلقون عليه من الحكمة حسب ما يحتمل عقله [١٥٩] .

أما آخر خطوة لإعلان نهاية الحكم القائم وقيام حكم جديد فهي طريقة توجيه الخطابات للملوك والسلاطين والعمال والكتاب إذ طالبوا من أتباعهم ضرورة الوصول لهم وفي خلوة بهم وإخبارهم بأن هناك مجموعة من الأصدقاء النصحاء من مختلف الطبقات استطاعوا معرفة خفيات الأمور ، ومنها حوادث الأيام والدول وتغيرات الزمان والخطوب والحدثان ، وما تدل عليه دلائل القرانات من تغيرات شرائع الدين والملل ، وتنقل الملك والدولة من أمة الى أمة ومن بلد الى بلد ومن أهل بيت الى أهل بيت ، وانه لابد من كائن في العالم قريب ، وحادث عجيب فيه صلاح الدين والدنيا وهو تجديد ملك المملكة ، وانتقال الدولة من أمة الى أمة ، وإن لذلك دلائل بيّنة وعلامات واضحة حيث وصلوا إليها من خلال اعتبار تصاريف الزمان فيما مضى ، وما يعرف منها بالزجر والفال والكهانة والفراسة ، وبدلائل المتحركات من النجوم والمنامات مما تدل عليه من الكائنات قبل أن تكون – وإنهم عرفوا صاحب الأمر بصفاته والسنة والشهر الذي يكون فيه هذا الحدث [١٦٠] ولكنهم لم يذكروا أسم الشخص ولا التاريخ المحدد .

وفي خطابهم الموجه للعمال والكتاب ، أن على من يلقاهم من إخوانهم في خلوتهم وعند الفراغ من مجالسهم أن يقرأ عليهم التحية والسلام من إخوان لهم نصحاء يحملون لهم شوق الاخاء والمودة وبعدها يقرأ على مسامعهم خطبة فيها هل أنت متعلق بمن تخدمه وتطيعه ومعتصم بعز سلطانه ، وهل تعلم انه كان في هذا الأمر الذي هو فيه الآن غيره قبله ، فزال عنه عزه وسلطانه ، وتفرقت عنه جموعه وأعوانه، وهل تعلم أن أمره سيبقى على حاله أم لابد أن يزول عنه يوماً ، ويصير الى غيره كما صار إليه بعد الذي

كان قبله ، وهل تعلم من يأتي بعده ويصير مكانه وكيف تكون حالك معه ، وقد علمت أن هذه الدنيا وأمورها دول ونوب تدور بين أهلها واحداً بعد آخر [١٦١] .

بعد هذا الكلام بات واضحاً حقيقة الغاية السياسية التي سعوا إليها إخوان الصفاء ومع كل هذه العبارات الصريحة نستغرب مما ذكره عمر فروخ وماجد فخري عندما رفضا أن تكون للإخوان مثل هذه الغاية تحت ذريعة إنهم ظهروا زمن الدولة البويهية وانقرضوا في أيامها حيث كانت تعطف على الشيعة فهي ضمنت لأول مرة في تاريخ الإسلام سيطرة العنصر الشيعي ، والإخوان كانوا انطلاقاً من صفوف الشيعة الإسماعيلية التي نشط تنظيمها السري منذ وفاة إمامهم إسماعيل بن جعفر الصادق [١٦٢] وللرد على هذا الرأي نقول أن الدولة التي دعا الإخوان الى قيامها دولة عربية والبويهيون فرس هذا من جانب ، ومن جانب آخر أن المذهب الذي دعوا إليه هو الإسماعيلي ، ومذهب البويهيون كان زيدياً . فضلاً عن ذلك أن الدولة البويهية لم تولي الحكم للعلويين ولما حاول معزل الدولة البويهي فعل ذلك نصحه احد مستشاريه بالتخلي عن هذا الأمر ، فترك اسم الخلافة لبني العباس [١٦٣] .

وبعد أن أجبنا على هذا الإشكال نود الحديث عن مسألة مهمة لم ينتبه لها أغلب الباحثين وهي ، هل نجح الإخوان بقيام دولتهم في العراق ؟ لو تأملنا هذا السؤال لوجدناه لا يخلو من الغموض ولا يمكن أن نقدم له إجابة واحدة بل إجابات عدة وهي أن الدولة التي توقع الإخوان قيامها لم تتحقق بالعراق لأن التاريخ يؤكد انه بعد انتهاء حكم البويهيين جاء السلاجقة وهم أتراك وبعد انتهاء حكمهم سنة ٥٩٠ هـ ظهرت محاولات السيطرة من قبل الفرنجة الصليبيون وبعدها جاءت سيطرة المغول حيث احتلوا بغداد بقيادة هولاكو سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨م وقتلوا آخر الخلفاء العباسيين (المعتصم بالله) وعدداً كبيراً من رجال الدولة . فلم تتحقق الدولة التي توقعوا قيامها بالعراق إذن ، والمواصفات التي ذكروها تنطبق على الدولة الفاطمية ونحن نعرف أن هذه الدولة ظهرت في المغرب سنة ٢٩٦ هـ نهاية القرن الثالث وانتقلت الى مصر في منتصف القرن الرابع الهجري . وهنا نقول أن الإخوان ربما توقعوا ظهور هذه الدولة بالعراق وهنا كانت آمالهم بقيام هذه الدولة فاشلة بينما توقعاتهم بنهاية الدولة العباسية صادقة . وهناك احتمال آخر مفاده أن رسائل الإخوان وأن ظهرت في القرن الرابع الهجري إلا أن زمان كتابة الرسائل تعود جذوره الى ما قبل قيام الدولة الفاطمية إذ الرسائل أرجعها بعض الباحثين الى احمد بن عبد الله [١٦٤] ونسبها آخر الى عبد الله بن محمد [١٦٥] فالدولة التي دعوا لها تحققت في المغرب ومصر فيما بعد وعندها نقول إنهم نجحوا بقيام الدولة العربية في قوميتها الإسلامية بديانتها ، الشيعية في مذهبها وكلا الاحتمالين فيه شيء من الصحة والمقبولية ، ولكن الدولة على كل حال لم تقم في البلد الذي احتضنهم وهو العراق .

الخاتمــة :

إن موضوع الفكر السياسي عند الإخوان لا يخلو من الغموض والتنوع وكلا الأمران اعتمده الإخوان على ما يبدو حيث طرحوا آرائهم ووزعوها على مختلف رسائلهم فتارة يصرحون بها وخير مثال على ذلك استخدامهم مصطلح السياسة ، كالسياسة النبوية والملوكية والعامية والخاصة والتي تشمل السياسة النفسانية والسياسة الجسمانية ، وهم يعلنون أهمية السياسة من الناحية الدينية فكانت النبوية أعلى السياسات ثم الخلافة أو الإمامة ، ويؤكدون أهمية الدولة وحاجة الإنسان لها والى أهمية الرئيس وضرورة طاعته والامتثال لأوامره . وتطرقوا أيضاً عن مشروع قيام مدينة فاضلة تخصهم حملت بين جنباتها أفكاراً يوتوبية ليوهموا الناس أن لا هدف سياسي عندهم ، وإنهم من أهل السلامة .

بل نجدهم حاولوا جمع أكبر عدد من المعجبين بهم حيث قاموا بمغازلة عواطف الناس من مختلف الأديان والمذاهب والقوميات وكأنهم يدعون الى حوار الأديان ففهمت هكذا محاولات من قبل بعض الباحثين أن الإخوان من دعاة التسامح وأصحاب معرفة موسوعية هدفهم الرئيس تقديم العلوم والمعارف بطريقة مجانية دون أن يبتغوا من وراء ذلك عوض .

ولكن آراءهم الحقيقية ألبسوها حلة رمزية دارت مواضيعها مجازاً على ألسنة الحيوانات متبعين أسلوب الحكايات في كليلة ودمنة ومن خلالها نعرف عدم رضاهم على الدولة القائمة سياسياً وإدارياً وعسكرياً واقتصادياً واجتماعياً وأخلاقياً ودينياً لذا استخدموا طرق شتى للإطاحة بنظام الحكم عن طريق بث أفكارهم وأهدافهم بشكل سري معتمدين على الشباب بنحو كبير ، فضلاً عن نشر أعوانهم في مختلف مؤسسات الدولة ساعين جلب الأنصار وأن اضطروا الى بذل الأموال وتقديم الخدمات لهم وتعليمهم ما يرغبون بتعلمه ، مؤكدين روح التضحية بالنفس والمال والولد من اجل أهدافهم القائمة على جعل الدين الإسلامي يفرض وجوده على سائر الأديان ، واللغة العربية على سائر اللغات والمذهب الشيعي على سائر المذاهب ، فيكون هذا الدين وهذه اللغة وهذا المذهب بمثابة البوتقة التي تنصهر فيها كافة الأديان والمذاهب واللغات .

والحمد لله رب العالمين

الهوامـــش

١ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء ، تقديم بطرس البستاني ، دار صادر ، بيروت، ٢٠٠٤ ، جـ ١ ، ص ٢٦٦ – ٢٦٧ .

٢ – المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ – ٢٧٣ ، ولمزيد من التفاصيل حول العلوم الإلهية ، ينظر ، ص ٢٧٤ .

٣ – ينظر مصطفى عبد الرزاق ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٦٦ ، ص ٥٥ .

٤ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ١ ، ص ٢٧٣ .

٥ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ١٢٥ .

٦ – لو أنعمنا النظر لوجدنا الإخوان استخدموا مصطلحي الرياسة والسياسة حيث بينوا أن الرياسة سابقة على السياسة ، وهي شهوة مركوزة في جبلت الإنسان من أجل تأكيد السياسة كونها لا تتم إلا بعد الرياسة، والمراد من السياسة هو صلاح الموجودات وبقاؤها على أفضل الحالات وأتم الغايات . ينظر رسائل إخوان الصفاء ، جـ ١ ، ص ٣١٤ . واشترطوا بالرياسة ضرورة توافر صفة التكبر بالرئيس لا التكبر المذموم بل بمعنى علو الهمة وكبر النفس فمتى استعمله كما ينبغي وفي الوقت الذي ينبغي من اجل ما ينبغي وبالمقدار المناسب أصبح إنساناً محبوباً ذا مروءة عفيفاً كريماً ديناً جميلاً مبجلاً مهيباً . ينظر رسائل إخوان الصفاء ، جـ ١ ، ص ٣٥٣ – ٣٥٤ . وعلى الرغم من استخدامهم مصطلحي السياسة والرياسة فهما يحملان نفس المعنى عندهم ومصداق ذلك نجده بقولهم : ((ثم أعلم انه ليس من مرتبة في الدنيا ولا فضيلة أحسن من الرياسة في العقلاء لذوي السياسات والتدبير ، ولا نعمة ألذ ولا رتبة أحسن من انقياد العقلاء للرئيس وطاعتهم له ، ولا محنة أعظم ولا بلية أشد من عصيان العقلاء للرئيس الفاضل وعداوتهم له . . .)) رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ٤٥٨ . وهم بتأكيدهم صفة العقل اقتربوا من أفلاطون عندما افترض برجل الدولة العقل والذكاء وقوة الشخصية وعلو المنزلة عند شعبه ، لأنه ملك وسيد بل هو كرب الأسرة الناصح لهم بما يملك من علم ومعرفة ، فالعقل والمعرفة شرطان لابد من وجودهما عند رجل الدولة العالم بفن السياسة . ينظر

Plato , states man , The Dialogues of Plato , Translated by Benjamin Jowett , The seventh letter , Translated by . J . Harward , William Benton Publisher Encyclopedia Britannica , 1952 , V – 7 . P 580 – 581 .

٧ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ١ ، ص ١٢٨ . وما دمنا بصدد الحديث عن السياسة النبوية نود تحديد موقفهم الديني من أهمية الرئاسة حيث أكدوا إن مفهوم الدين لغة يعني الطاعة من جماعة لرئيس واحد ، وهذه الطاعة لا تتبين إلا بالأوامر والنواهي وهذان الأمران لا يعرفان إلا بالأحكام والحدود والشرائط والمعلومات وكل هذه الأمور سميت شريعة الدين وسنن أحكامه . ينظر ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ٤٨٦ .

٨ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ١٢٩ – ١٣٠.

٩ – أبو نصر الفارابي ، آراء أهل المدينة الفاضلة ، تقديم وشرح إبراهيم جزيني ، دار القاموس الحديث ، بيروت ، بلا تاريخ ، ص ١٠٣ – ١٠٤ . وجدير بالذكر أن الصفات التي ذكرها الفارابي والإخوان تقترب من صفات الحاكم التي اشترطها أفلاطون ولكنها عنده خمسة عشر بدلاً من اثني عشر ، واشترط عشرة صفات يجب أن تكون فطرية . يُراجع أفلاطون ، الضروري في السياسة مختصر كتاب السياسة ، نقله عن العبرية الى العربية د . احمد شحلان ، مع مدخل ومقدمة تحليلية وشروح ، د . محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ط ١ ، ١٩٩٨ ، ص ١٣٧ – ١٣٨ – ١٦٨ – ١٦٩ .

١٠ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ٤٩٤ – ٤٩٥ .

١١ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ١٢٥ .

١٢ – المصدر نفسه ، ص ١٣٣ .

١٣ – المصدر نفسه ، ص ١٣٥ – ١٣٦ .

١٤ – المصدر نفسه ، ص ١٣٦ . يلاحظ تفريق الإخوان بين علم النبي وعلم الفيلسوف ، فواضع الشريعة علمه وحياً وإلهاماً، أما الفيلسوف فاكتساباً، وهذا يناقض الصفة السادسة التي اشترطوها بواضع الشريعة وهي أن يكون متحمل لتعب اكتساب العلم هذا من جانب ، ومن جانب آخر إنهم وصفوا علم الفيلسوف بالأوصاف الجيدة من قوة النفس وجودة الرأي ، فيشعروا القارئ بإعلائهم مرتبة الفيلسوف على واضع الشريعة . وهم على ما يبدو تنبهوا لذلك لذا عدلوا من موقفهم فنقدوا الفلاسفة والعلماء الذين لا يلتزمون بأحكام الشريعة ناسبين هذا العمل الى جهالة نفوسهم بظاهر الشريعة فهم أشبه بشياطين الجن والإنس ، ولا يعرفون أسرار الشريعة . ينظر رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ١٣٧ – ١٣٨ .

١٥ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ١٣٠ – ١٣١ .

١٦ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ١٣٤ .

١٧ – المصدر نفسه ، ص ١٣١ – ١٣٢ .

١٨ – المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .

١٩ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ١ ، ص ٢٧٣ – ٢٧٤ .

٢٠ – المصدر نفسه ، ص ٢٩٢ . أكد الإخوان أن اسم الملك مشتق من المُلك ، وهو من أسماء الملائكة ، والملائكة هي التي تتولى تربية وحفظ الموجودات بحنان ورأفة وشفقة أشد من شفقة الوالدات على صغارها ، وهذه رحمة ، وأي رحمة أخرى إذا قورنت برحمة الله فهي جزء من ألف جزء من رحمته تعالى – رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٢ ، ص ٣٤٢ . وأطلقوا مصطلح الخلافة على الملائكة أيضاً فهم خلفاء الله في أفلاكه ، فكواكب الفلك هم ملائكة الله في سماواته خلقهم لعمارة عالمه وتدبير خلائقه وسياسة بريته ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ١ ، ص ١٤٥ . أي إنهم استخدموا مصطلح خليفة سماوي يقابل الخليفة الأرضي ، الأول يمثل الملائكة والثاني يمثل البشر .

٢١ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ١٢٥ .

٢٢ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ٤٩٥ .

٢٣ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٢ ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ .

٢٤ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ١٧٣ – ١٧٤ . يلاحظ أن الإخوان لم يؤكدوا دور المرأة في الدولة بل نظروا لها نظرة ضيقة حيث اعتبروا مخالطتها والإصغاء الى كلامها فيه مثلبة على الحاكم وعمموا هذا الحكم على كل النساء ، وتعميمهم هذا لم ينطلق من وجهة نظر الإسلام ، لأن هذا الدين منح المرأة حقوقاً في دولة الإسلام وسمح لها بالمشاركة في مختلف جوانب الحياة فالإخوان ربما تأثروا بأرسطوطاليس في هذا الموضوع . إذ يرى إن الذكور أصلح للرئاسة من الإناث ، لأن النساء لديهن حس رقيق عاطفي ، سريع التأثر ينقاد لعوامل الشعور أكثر مما يسترشد بنور العقل ، والنساء وإن كانت لديهن ملكة المشورة أي الفطنة إلا إنها تلبث فيها بلا فاعلية . أرسطو ، السياسات ، نقله من الأصل اليوناني وعلق عليه الأب أوغسطينس بربارة البولسي ، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية ، بيروت، ١٩٥٧ ، ص ٣٧ – ٤٠ .

٢٥ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ١٧٤ – ١٧٥ .

٢٦ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٢ ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ .

٢٧ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ١٧٦ .

٢٨ – الفقه السياسي : - الفقه معناه لغة الفهم والعلم . ويدل قانوناً على مجموعة الآراء القانونية الصادرة من المشتغلين بعلم القانون أي من الفقهاء وهو ليس له صفة رسمية يلتزم بها المشتغلون بالقانون بل له قوة أدبية كبيرة يؤثر من خلالها على أحكام القضاء وعلى المشرع نفسه ، ويمارس دوراً في تحليل وشرح القوانين الصادرة عن السلطة التشريعية وأحكام القضاء ، وتأصيل هذه القوانين ، فضلاً عن انتقاد التشريع من النواحي المختلفة ، وقد لعب الفقه دوراً هاماً وأساسي في سن الشرائع وفي التطور الفكري بصفة عامة في بعض الحضارات ، مثل الرومانية والإسلامية . ينظر موسوعة السياسة ، أسسها د . عبد الوهاب الكيالي ، مدير التحرير ماجد نعمة ، شارك بالتحرير د . محمد بشير الكافي وآخرون ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، بلا تاريخ ، جـ ٤ ، ص ٥٦٤ .

٢٩ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ٣٧٧ .

٣٠ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ٤٩٣ – ٤٩٤ .

٣١ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ٣٧٧ – ٣٧٨ .

٣٢ – من الأمثلة التي قدموها على ذلك عقد النبي محمد (ص) الراية لعلي (ع) حيث قال لأصحابه : ((لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، كرار غير فرار ، لا يرجع حتى يكون الفتح على يديه)) . لمزيد من التفاصيل ينظر ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ٣٨٣ .

٣٣ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ١٢٨ . شمل الإخوان في هذه الخلافة كل من لم يعمل بوصية الرسول (ص) وطلب أن يدبر الناس بسعيه وحرصه فمن هكذا حاله ستربط فيه روحانية

كوكب من الكواكب كما يعتقدون ويكون محبوساً فيها محصوراً في أحكامها حتى يموت وعلى هذا تجري أحوال الملوك والسلاطين والمتغلبين في الدنيا ولهذا السبب هم بحاجة الى المنجمين وأصحاب المعارف . ينظر رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ٣٧٧ .

٣٤ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ٣٧٨ – ٣٧٩ .

٣٥ – قسم أوغسطين المدينة قسمان ، مدينة سماوية (مدينة الله) ومدينة أرضية . تجاهد الأولى من أجل العدالة وتسعى الثانية لنصرة الظلم . وبين هاتين المدينتين حرب مهولة منذ البداية ولا تزال مستمرة حتى يفصل بينهما عيسى (ع) في آخر الزمان ، فيكون مصير الأولى السعادة الأبدية ، أما الأرضية فالى نار لا تنطفئ ، وهاتان المدينتان يلتقيان بالحياة الراهنة وبإمكاننا أن نميز بينهما من خلال تصرفات أهلها ، إذ أهل المدينة الأرضية يطلبون الخيرات المادية كغايات يتنازعون عليها ، أما السماويون فيناشدون الفضيلة وما هو روحي . ينظر يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر – بغداد ، بلا تاريخ ، ص ٤٥ – ٤٦ .

٣٦ - إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ١٨٠ . ما ذكره الإخوان حول جعلهم العقل خليفة ، وإنهم ارتضوه رئيساً على جماعتهم لأن الله جعله كذلك على خلقه الذين هم تحت الأمر والنهي – رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ١٢٧ – ١٢٨ . وتأكيدهم أيضاً أن العقلاء غير محتاجين الى رئيس يرأسهم إذا أنضاف لعقولهم القوة بواضع الشريعة حيث يقوم العقل مقام الإمام الرئيس ، وإنهم جعلوا سنة الشريعة إماماً لهم – رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ١٣٧ . هذه الأقوال دفعت بعض الباحثين بنفي علاقة الإخوان بالشيعة ألاثني عشرية والإسماعيلية – ينظر مثلاً يوحنا قمير ، إخوان الصفاء ، دار المشرق ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٦ ، ص ١٦ . كذلك د . فؤاد معصوم ، إخوان الصفاء فلسفتهم وغايتهم ، دار المدى للثقافة والنشر في دمشق وبيروت ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ص ٢٨٤ علماً بأن معصوم نفى علاقتهم حتى بالزيدية – ينظر من ص ٢٧٥ الى ص ٢٩٧ .

والحق أن الإخوان وعلى الرغم من قولهم بخلافة أو إمامة العقل إلا إننا نجدهم في حديثهم عن السياسة الملوكية أكدوا أهمية الإمامة واستخدموا مصطلحات استخدمهما الإسماعيليون نذكر منها – أن الخلفاء الحقيقيون مثل الأنبياء والأئمة التابعين سواء كانوا ظاهرين بالعيان موجودين في المكان في دور الكشف ، وبالضد من ذلك دور الستر غير إنهم في دور الستر لا يكونون مفقودي الوجه جملة من أعدائهم ، فأما أوليائهم فيعرفونهم ومن أرادهم قصدهم ، والله لا يجعل الزمان خلواً من الإمام الذي هو حجته ، فهم الخلفاء في الدورين ، في دور الكشف يظهر ملكهم في الأرواح والأجساد ، وفي دور الستر يجري أمرهم في الأنفس والعقول . ينظر رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ٣٧٩ . كذلك بينوا إن إبليس في وقت ستر الإمام يكون فعله أكبر لأن خليفة الله مختفياً وإن كانت أنواره تضيء في نفوس العارفين . فهؤلاء الأئمة وأن كانوا مشاركين لنا في الجسمية فمختلفين بالجانب الروحي فلا يطرأ على أجسادهم ما يطرأ على أجسادنا من تأثير الأمور الفلكية ، لأن نفوسهم الروحانية الشريفة من خارج الأفلاك . رسائل إخوان

الصفاء ، جـ ٤ ، ص ٣٨١ . أيضاً استخدموا مصطلح الإبدال وهم ورثة الأنبياء وهم من قال عنهم الإمام علي (ع) أولئك الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر ، فباشروا روح حقيقة اليقين ، وهؤلاء بفضلهم يرفع الله العذاب عن أهل الأرض وسيلاقون التعب والقتل على يد قوم خرجوا عن طريق الآخرة ومالوا الى الدنيا . ينظر لمزيد من التفصيل رسائل إخوان الصفاء جـ ١ ، ص ٣٧٩ – ٣٨٠ – ٣٨٧ – ٣٨٨ . فدور الستر والكشف والإبدال وغيرها مصطلحات إسماعيلية بلا شك . وعندما تنبه معصوم لذلك أعلن أن هذه المصطلحات جاءت دخيلة على رسائل إخوان الصفاء . ينظر فؤاد معصوم ، مصدر سابق ، ص ٢٨٥ – ٢٨٦ . ولو فرضنا صحة هذا الرأي جدلاً فنقول أن علاقة الإخوان بالإسماعيلية أكدها عدد كبير من الباحثين لا نستطيع ذكرهم هنا لضيق المقام هذا من جانب ومن جانب آخر إنهم عندما جعلوا من العقل إماماً فكلامهم لا يعد دليلاً على عدم تشيعهم ، فهم أعلنوا صراحة بأنهم شيعة ، وعلويون أيضاً. ينظر رسائل إخوان الصفاء جـ ٤ ، ص ١٤٦ – ١٤٧ . حول تشيعهم ينظر المصدر نفسه ، ص ١٨٦ – ١٨٧ – ١٩٥ – ١٩٦ – ١٩٧ – ٢٦٥ – ٢٦٦ – ٢٦٧ – ٢٦٨ – ٢٦٩ – ٢٧٠ . فهم عندما قالوا بإمامة العقل ربما كان هدفهم التمويه والتشويش لا أكثر ولا أقل .

٣٧ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ٤٩٦ – ٤٩٧ . أكد الإخوان أن الله لما جمع الملك والنبوة لمحمد (ص) وليوسف وداود وسليمان (ع) لم يكن سببه محبتهم بالملك الدنيوي بل الملك أمر مزهود فيه من قبلهم فهذا محمد (ص) يرفض عرض جبرائيل (ع) بإعطائه مفاتيح خزائن الأرض لأن الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عذاب . المصدر نفسه ، ص ٤٩٧ – ٤٩٨ .

٣٨ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ١ ، ص ٢٧٤ .

٣٩ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ . وحقيقة لابد منها وهي أن الإخوان وإن تكلموا عن علاقة الزوج بزوجته إلا إنهم يفضلون العزلة والوحدة والانفراد . وبما إن هذا الأمر لا يتهيأ للجميع فعله نراهم يقرونه كي لا ينقطع النسل والحدث . ينظر المصدر نفسه ، ص ٢٥٩ فهم على ما يبدو انتبهوا الى تأكيد الإسلام على أهمية الزواج لذا لم يمنعوا أتباعهم منه وإن كانوا يحبذون عدم الزواج . وموقفهم هذا يقترب من مذهب الغنوص الذي دعا الى العفة وترك الزواج وإن المادة شر ويجب الخلاص من علائقها . ينظر حول الغنوص والزواج د . عبد الرحمن بدوي ، التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني ، الناشر الشعشاع للنشر ، طهران ، ط ٣ ، ٢٠٠٨ ، ص ١٣٥ .

وقضية تشجيع الإسلام على الزواج المبكر أقلقت الحضارة الغربية من التزايد الديمغرافي للمسلمين في البلدان الغربية لذا سعوا الى وضع برامج للحد من هجرة المسلمين حيث خطط هنتنغتون لمعالجة هذا الموضوع – ينظر صموئيل . ب – هنتنغتون ، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي ، ترجمة د . مالك أبو شهيوة – د . محمود مخلف خلف ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ليبيا ، ط ١ ، ١٩٩٩ ، ص ٣٧٧ وحول قلقه من تشجيع الإسلام على الزواج ، ينظر ص ٢٢١ – ٢٢٢ – ٢٢٦ – ٢٢٧ – ٤٥٢ .

٤٠ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

٤١ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ١ ، ص ٢٧٤ .

٤٢ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ٤٨ .

٤٣ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

٤٤ – المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ – والإخوان يزهدون بالجسد ويعلون من شأن النفس ، فهو سجن للنفس وليس له مقر غير الدنيا ولا مكان غير الأرض ولا صفة له غير الطول والعرض والعمق . ينظر ص ٢٥٦ – ٢٥٧ .

٤٥ – عُرف عن عمانوئيل كانت انه أكد فعل الخير للغير وأن يكون هذا الفعل نابعاً من فكرة الواجب ، أي لا يكون هدفه ابتغاء مرضاة الآخرين ، ولا هدفه رغبة شخصية أو ميل أو رهبة أو خوف – بل فعله لأجل الواجب وعندها يكون مبدأ فعله الذاتي له مضمون وقيمة أخلاقية . ينظر عمانوئيل كانت ، المبادئ الأساسية لميتافيزيقا الأخلاق نقله الى العربية حكمة حمصي ، قدم له د. عادل العوا ، دمشق ، ١٩٦١ ، ص ٣٦ – ٣٧ – ٣٨ .

٤٦ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ٥٣٤ .

٤٧ – المصدر نفسه ، ص ٤٥٤ .

٤٨ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ١ ، ص ١٠٠ . اقترب الإخوان من أفكار بعض الفرق المسيحية التي ترى أن ما يلاقيه البشر من متاعب سببه خطيئة أبونا آدم (ع) وإن عيسى (ع) جعل من نفسه قرباناً للتكفير عن هذه الخطيئة حيث ورد في إنجيل يوحنا مثلاً: ((أن الله أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون الحياة الأبدية ، فان الله لم يرسل ابنه الى العالم ليدين ، بل ليخلص العالم به ، فالذي يؤمن به لا يُدان ، أما الذي لا يؤمن به فقد صدر عليه حكم الدينونة)) . اصحاح ٣ ص ٩ ينظر أيضاً اصحاح ٥ ، ص ١٩ ، كذلك اصحاح ٦ ، ص ٢٦ يراجع حول الفرق المسيحية وفداء عيسى (ع) الإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المتوفي (٥٤٨ هـ) الملل والنحل ، تصحيح وتعليق الاستاذ احمد فهمي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٧ ، ٢٠٠٧ ، جـ ٢، ص ٢٤٥ .

٤٩ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ١٢٧ كذلك الرسائل جـ ٢ ، ص ١٣٩ – ١٤٠ .

٥٠ – اقترب الإخوان من فكرة أفلاطون في قضية حاجة الإنسان الى العيش مع الآخرين لسد احتياجاته ، ودور الجماعة في إصلاح الكمالات البشرية وهكذا قضية نادى بها أرسطو فيما بعد تحت عنوان إن الإنسان مدني بالطبع ولديه نزوع نحو الحياة في دولة المدينة – ينظر أفلاطون الضروري في السياسة مختصر كتاب السياسة ، ص ٧٤ – ٧٥ – ٧٦ كذلك أرسطو طاليس ، علم الأخلاق الى نيقوماخوس ، ترجمة اسحق بن حنين ، حققه وقدم له د . عبد الرحمن بدوي ، الناشر وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط ١

، ١٩٧٩ ، ص ٣٢٥ – ينظر كذلك فرانسيس وولف ، أرسطو والسياسة ، ترجمة أسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٤ ، ص ٨٨ .

٥١ – أكد بعض السفسطائيين إن الإنسان أناني وميال نحو الشر ، فهذا أنتيفون وغلوكون مثلاً يعلنان إن الإنسان لو ترك وشأنه لانقاد الى تحقيق مآربه ورغباته الطبيعية باستخدام شتى الطرق والوسائل فهو أناني بطبعه . والناس لا تنقاد للقانون أو للعدل ذاته بل يفعلون ذلك وهم مجبرين – ينظر حول انتيفون – د . غانم محمد صالح ، الفكر السياسي القديم ، جامعة بغداد ، كلية القانون والسياسة ، ١٩٨٠ ، ص ٤١ – ٤٢ – ينظر حول غلوكون – أفلاطون ، الجمهورية ، نقلها الى العربية حنا خباز ، دار القلم ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٠ ، ص ٤٥ – ٤٦ .

أما هوبز فقد صرح إن الإنسان لا هو كائن اجتماعي كما أكد أرسطو ولا كائن عقلي كما يرى فلاسفة عصر التنوير في القرن الثامن عشر ، بل هو شرير تدفعه المصلحة الذاتية والغرائز ولا يذعن إلا إذا خاف ولا يضحي بمصالحه إلا مرغماً ولا يحب السلام للسلام بل فزعاً من نتائج الحرب ، فهو ذئب ضد أخيه الإنسان وفي حرب ضد الكل . والبشر متساوون من حيث قدراتهم على الانتقام من بعضهم لذا تم إيجاد العقد الاجتماعي الذي بموجبه لا يتجاوز أحدهم على الآخر – ينظر حول هوبز – د . عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ، مطبعة سليمان زادة ، منشورات ذوي القربى ، إيران ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ ، جـ ٢ ، ص ٥٦٠ – ٥٦١ – ٥٦٢ – كذلك إمام عبد الفتاح ، الأخلاق والسياسة دراسة في فلسفة الحكم ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، ٢٠٠١ ، ص ٢٦٨ – ٢٦٩ – ٢٧٢ – ٢٧٤ . كذلك ليوشتراوس وجوزيف كروبسي ، تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكيديس حتى اسبينوزا ، ترجمة محمود سيد احمد ، مراجعة وتقديم إمام عبد الفتاح ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، ٢٠٠٥ ، جـ ١ ، ص ٥٧٧ – ٥٧٨ – ٥٧٩ – ٥٨٢ – كذلك يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٢ ، ص ٥٥ – ٥٦ – ٥٧ .

٥٢ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٢ ، ص ٣٠٨ .

٥٣ – المصدر نفسه ، ص ٣٥٥ .

٥٤ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ١٦٠ – ١٦١ .

٥٥ – المصدر نفسه ، ص ١٦٢ – ١٦٣ ولمزيد من التفصيل ينظر ص ١٦٤ .

٥٦ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ١ ، ص ١٥٤ – ١٥٥ . كذلك الرسائل جـ ٣ ، ص٢٦٦ .

٥٧ – إخوان الصفاء ، الرسائل ، جـ ٢ ، ص ٢٣٣ . ويمكن أن نجد في القرآن ما يثبت تعاقب الدول بقوله تعالى : { إن يمسسكم قرحٌ فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهيداً والله لا يحب الظالمين } سورة آل عمران – آية ١٤٠ .

٥٨ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ١ ، ص ١٨٠ – ١٨١ .

٥٩ – د . علي حسين الجابري ، فلسفة التاريخ في الفكر العربي المعاصر ، جدلية الأصالة والمعاصرة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٣ ، القسم الأول ، ص ١١٣ – ١١٤ – ١١٥ – والإخوان تكلموا عن أثر حركة النجوم على مختلف جوانب حياة الإنسان ، ينظر رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٢ ، ص ٢١٤ كذلك جـ ٣ ، ص ٢٦٠ – ٢٦٣ – ٢٦٤ – ٢٦٥ – ٢٦٦ – ٢٦٧ .

٦٠ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٢ ، ص ٣٥١ – ٣٥٢ .

٦١ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ٣٠٦ – ٣٠٧ – يرى الإخوان إن السلطان الجائر مشكلة ، فان خرج عليه الناس ، جوبهوا بنكد العيش لأن الإنسان محتاج الى الحياة الجماعية في المدن والقرى لسد متطلباته هذا من جانب ومن جانب آخر أن الإنسان لا يستغني عن وجود سلطان يحكمهم ويحل منازعاتهم . أما في حال البقاء معه فأمر لا يخلو من مشاكل هو الآخر منها التعب الجسدي والعناء النفسي ، وتحمل الذلة وشماتة الحساد هذا ما يحصل في حال طاعته . أما في حال عدم الطاعة فالقضية معناها التعود على مشقة السفر وجمع المعدات والآلات لمحاربته وتوفير دواب وحاجات لا تحصى وهي صعبة المنال – ينظر رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ٣٠٨ .

٦٢ – المصدر نفسه ، ص ٣٠٩ .

٦٣ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٢ ، ص ٢٩٩ – ٣٠٠ .

٦٤ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ١ ، ص ٣٠٢ .

٦٥ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ٤٢٨ .

٦٦ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ١ ، ص ٣٢٢ – ٣٢٣ .

٦٧ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ٤٢٨ – ٤٢٩ .

٦٨ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ١٢٧ – ١٢٨ .

٦٩ – المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .

٧٠ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ١ ، ص ٣٤٩ .

٧١ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ١٧٠ – ١٧١ .

٧٢ – أكد أفلاطون أن الرجل إذا كان عاقلاً أو حكيماً فان كل الناس سيكونون أصدقائه ومقربين له ، لأن العاقل إنسان مفيد وجيد ، وإذا كان بخلاف ذلك فلا أحد سيكون صديقه ، حتى أقاربه وأهله أمه وأبوه – فالرغبة بالصداقة يدخل فيها فضلاً عن المحبة دور العقل أيضاً . ينظر

Plato , Lysis or Friend ship , The Dialogues of Plato , in Great Books of the western world , Translated by Benjamin dowett – William Benton publisher , Encyclopedia Britannica , 1952 , V 7 , P 18 – 24 .

٧٣ – يرى أرسطو أن الصداقة الفاضلة تختلف عن صداقة المنفعة واللذة ، فالصداقتين الأخيرتين تقوم بسرعة وتنقطع بسرعة لأنها قائمة على العاطفة واقتفاء أثر اللذة ، فيصل الحد بين الأصدقاء أن يختلفوا مع بعضهم حتى في اليوم الواحد ، بينما الصداقة الكاملة هي التي تؤثر بوساطة العقل . ينظر

The works of Aristotle , in Great books of the western world , Translated by Benjamin dowett , William Benton Publisher , Encyclopedia Britannica , 1952 , V 9 , P 408 .

٧٤ – حول صداقة إخوان الصفاء ينظر مثلاً علي هادي طاهر ، المعرفة والتربية والتعليم عند إخوان الصفاء ، رسالة ماجستير مخطوط في مكتبة قسم الفلسفة جامعة بغداد ، ٢٠٠٢ ، من ص ١٠٨ الى ص ١١٥ .

٧٥ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ١٧١ . .

٧٦ – المصدر نفسه ، ص ١٧٢ .

٧٧ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٢ ، ص ٢٣ . والإخوان فضلوا الصحبة الروحانية وذموا الجسدانية . ينظر المصدر نفسه ، ص ٥١ .

٧٨ – المصدر نفسه ، ص ١٢٥ .

٧٩ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤، ص ١٧٣ – ١٧٤ . وأكد الإخوان أن القرآن الكريم أشار الى هذه المراتب الأربعة وحدد الأولى : ((وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم)) النور – آية ٥٩ . وحدد الثانية : ((ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً)) القصص – آية ١٤ . والثالثة أشار إليها بقوله : ((حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي)) الأحقاف – آية ١٥ .

٨٠ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ١٧٤ – ١٧٥ . ويرى الإخوان إن الباري أشار لهذه المرتبة بعدة آيات مباركة هي قوله تعالى : { يا أيتها النفس المطمئنة أرجعِ الى ربك راضية مرضية . فادخلي عبادي . وادخلي جنتي } الفجر – الآيات ٢٧ – ٢٨ – ٢٩ – ٣٠ وقوله تعالى عن إبراهيم (ع) : { واجعلني من ورثة جنة النعيم } الشعراء آية ٨٥ . وقوله تعالى عن يوسف الصديق (ع) : { ربِ قد أتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين } يوسف آية ١٠١ .

٨١ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ١ ، ص ١٦٦ .

٨٢ – حول أفكارهم المأخوذة عن المجوسية ينظر رسائل إخوان الصفاء ، جـ ١ ، ص ٣٥٠ – ٣٥١ . كذلك جـ ٣ ، ص ٥٠٧ – ٥٠٨ كذلك جـ ٤ ، ص ٣٤٦ – ٣٤٩ .

٨٣ – حول أفكارهم المأخوذة من الهنود – ينظر رسائل إخوان الصفاء جـ ١ ، ص ٣٥٠ – ٣٥١ – ٤٥٠ كذلك جـ ٤ ، ص ٢٥ .

٨٤ – ينظر حول أفكارهم المأخوذة عن اليهودية – رسائل إخوان الصفاء ، جـ ١ ، ص ٣٠٠ – ٣٠١ – ٣٠٢ كذلك جـ ٤ ، ص ٢٦ – ٢٧ . وحول المسيحية يراجع جـ ٤ ، ص ١٩ – ٣٢ .

٨٥ – يراجع حول الأفكار الصابئية – رسائل إخوان الصفاء ، جـ ١ ، ص ٢٢٥ كذلك جـ ٢ ، ص ٢٣١ كذلك جـ ٤ ، ص ٢٥ ومن ص ٢١٥ الى ص ٢٢٤ من الجزء نفسه كذلك ص ٤٦٣ – ٤٦٤ – ٢٦٦ – ٢٦٧ .

٨٦ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ١٨ – ١٩ . عاذيمون يزعم انه معلم أدريس عليه السلام . أما اهرمن فهو إله الظلمة عند المجوس أما اليزدان فآله النور .

٨٧ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ٢٦٣ – ٢٦٤ – وحول أعيادهم بالعبادة الفلسفية ينظر المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

٨٨ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

٨٩ – ينظر مثلاً علي هادي طاهر ، المعرفة والتربية والتعليم عند إخوان الصفاء ، من ص ٥٦ الى ص ٧٢ .

٩٠ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ١٦٧ .

٩١ –ينظر أبو حيان التوحيدي ، المقابسات ، تحقيق وشرح حسن السّندوبي ، المطبعة الرحمانية ، مصر، ط ١ ، ١٩٢٩ ، ص ٤٦ . كذلك أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، اعتنى به وعلق عليه محمد الفاضلي ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٩ ، جـ ٢ ، ص ١٥٩ – ١٦٠ – كذلك جمال الدين علي بن يوسف القفطي ، تاريخ الحكماء ، مؤسسة الخانجي ، مصر ، مكتبة المثنى ، بغداد ، بلا تاريخ ، ص ٨٣ .

٩٢ – ينظر التوحيدي ، المقابسات ، ص ٤٧ كذلك الإمتاع والمؤانسة ، جـ ٢ ، ص ١٦٠ .

٩٣ – حجة الإسلام ، أبو حامد الغزالي ، المنقذ من الضلال والموصل الى ذي العزة والجلال ، تحقيق وتقديم الدكتوران ، جميل صليبا وكامل عياد ، دار الأندلس ، بيروت ، ط ٧ ، ١٩٦٧ ، ص ٨٨ – ٨٩ . يلاحظ أن الغزالي نسب رسائل إخوان الصفاء الى شخص واحد . بينما التوحيدي ينسبها الى أكثر من واحد وهذا نجده في حديثه عن زيد بن فاعه فبعد أن أعلن انه لا يُنسب الى مذهب لموسوعيته ذكر مصاحبته لعدة شخصيات في البصرة أسهموا في تأليف الرسائل منهم أبو سليمان محمد بن معشر المقدسي ، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني ، وأبو احمد المهرجاني ، والعوفي – ينظر التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، جـ ٢ ، ص ١٥٩ – كذلك المقابسات ، ص ٤٦ – ٤٧ .

٩٤ – هنري كوربان ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ترجمة نصير مروة ، حسن قبيسي ، مراجعة وتقديم الإمام موسى الصدر والأمير عارف تامر ، عويدات للنشر والطباعة ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٢١٣ – ينظر كذلك جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ٤٢ .

٩٥ – د . غلام حسين إبراهيم ديناني ، حركة الفكر الفلسفي في العالم الإسلامي ، تعريب عبد الرحمن العلوي ، دار الهادي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١ ، جـ ١ ، ص ٤٩٤ .

٩٦ – د . علي سامي النشار ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، دار المعارف ، مصر ، ط ٢ ، ١٩٦٤ ، جـ ١ ، ص ٤٤ – ٤٥ .

٩٧ – أوليري ، مسالك الثقافة الإغريقية الى العرب ، ترجمة د . تمام حسان ، مكتبة الانجلو المصرية ، بلا تاريخ ، ص ٢٦٩ – ٢٧٠ .

٩٨ – د . جبور عبد النور ، إخوان الصفاء ، دار المعارف ، مصر ، ط ٣ ، ١٩٧٠ ، ص ٢٦ .

٩٩ – المصدر نفسه ، ص ١٧ – ١٨ ولمزيد من التفصيل ينظر من ص ١٩ الى ص ٢٥ – وجدير بالملاحظة إن جبور يرى إن إخوان الصفاء كانوا صابئة – ينظر بحثه الموسوم بـ (معالم الوثنية في رسائل إخوان الصفاء ، مجلة الكاتب المصري ، العدد ٢١ يوليو ، المجلد السادس ، ص ٢٥ – ٢٦ – ٢٧ .

١٠٠ – ينظر

FazluR Rahman , Islamic Philosophy , Article in Encyclopedia of Philosophy – Paul Edwards , editor in chief , macmillan publishing , New York , 1967 , V – 4 – P 221 .

١٠١ – عمر فروّخ ، تاريخ الفكر العربي الى أيام ابن خلدون ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨٣ ، ص ٣٧٩ – أما ماجد فخري ، فيرى أن الإخوان لما عرفوا بأن الفرق الدينية أصبحت كل منها مقتنعة أن الحق خلص لها وحدها ، وأن الحق أصبح مرتبط بقضايا كالعنصر والمواطن والزمن بل وحتى المزاج الفردي ، لذا بينوا أن هذه القضايا لا تفسد بالضرورة وحدة الحق ولا تعبث بشموله لهذا نجدهم متحررين دينياً ، وأوضح مثال على ذلك موقفهم السمح من الدين المسيحي وإقرارهم بأصالة الأناجيل مستشهدين بها مقتبسين منها وأكثر ما يذكرونه عنها لا كما وردت في القرآن – ينظر د . ماجد فخري ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، وضعه مؤلفه بالانجليزية ، نقله الى العربية د . كمال اليازجي ، الجامعة الأمريكية ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ٢٤٥ – ٢٤٦ .

١٠٢ – يوحنا قمير ، إخوان الصفاء ، ص ٣٦ – ٣٧ – ٣٨ .

١٠٣ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٢ ، ص ٣١٦ .

١٠٤ – ينظر مثلاً د . هاشم يحيى الملاح ، دراسات في فلسفة التاريخ ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٨٠ ، ص ٢٣٣ .

١٠٥ – الأيديولوجية Ideology يعتبر هذا المفهوم حالياً من أبشع المفاهيم ، وصار شائعاً ومتداولاً ، ولكن معناه ظل مثيراً للجدل ، فهو أقل المفاهيم ثباتاً ، فعند البعض مفهوم علمي ، وعند آخرين معنى مبهم ومبتذل ، بل يمكن أن يكون حتى سُبة ومثال ذلك ما ذكره ريمون أرون أن الأيديولوجية هي فكرة

عدوي وهذا الوضع يظهر أن المفهوم نفسه هو موضوع لعملية أدلجة مكثفة – ينظر ميشيل فادية ، الأيديولوجية وثائق من الأصول الفلسفية ، ترجمة أمنية رشيد ، سيد البحراوي ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ٦ ، ٢٠٠٦ ، ص ١٠ يراجع حول المعاني السلبية للأيديولوجية – المصدر نفسه ، ص ٩٧ – ٩٨ .

أما معناها لغة : - فكلمة مركبة من أيده – لوجية ، وتعني علم العقيدة ، وقد تطلق على العقيدة نفسها ومحتوى التفكير أما المعنى الاصطلاحي فيتمثل بمعنيين احدهما أعم من الآخر : أولهما مطلق النظام الفكري والعقائدي الشامل للأفكار النظرية المبينة للواقعيات التي لا ترتبط بشكل مباشر بسلوك الإنسان . والثاني يختص بالنظام الفكري المحدد لشكل السلوك – ينظر الأستاذ محمد تقي مصباح اليزدي ، محاضرات في الأيديولوجية المقارنة ، ترجمه الى العربية محمد عبد المنعم الخاقاني . سلمان الفارسي ، قم ، الناشر منظمة الأعلام الإسلامي ، قسم العلاقات الدولية ، ط ٢ ، بلا تاريخ ، ص ٧ – ٨ .

وظهر مصطلح الأيديولوجية أول مرة على يد ديستوت ديتراسي في ١٨٩٦ حيث تبنى برنامج فكري قاد الى إصلاح جارف في المدارس الفرنسية – وهذا المصطلح أخذه كارل ماركس ومنحه بعداً اقتصادياً – ينظر

David Bray Brooke , Ideology , Article in Encyclopedia of Philosophy Paul Edwards , Editor in chief , Macmillan Publishing , New York , 1967 , V – 4 , P 125 – 126 – 127 .

١٠٦ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٤ ، ص ٤٠٣ – ٤٠٤ .

١٠٧ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ١٦٩ .

١٠٨ – ينظر مثلاً ميشيل فادية ، مصدر سابق ، ص ٢٠ .

١٠٩ – المصدر نفسه ، ص ٩٥ .

١١٠ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ١٥٠ .

١١١ – المصدر نفسه ، ص ١٥٢ – ١٥٣ .

١١٢ – المصدر نفسه ، ص ١٦٥ – ١٦٦ . وتكلم الإخوان عن اختلاف المسلمين أيضاً بعد وفاة الرسول (ص) في تحديد الخليفة بطريقة رمزية وهي قصة الغربان والبازي – يراجع المصدر نفسه ، ص ١٦٧ – ١٦٨ .

١١٣ – المصدر نفسه ، ص ١٦٤ – ١٦٥ .

١١٤ – ينظر T – J – De Bore , The History of Philosophy in Islam , Translated by – Edward – R – Jones – cosmo Publications , New Delhi , 1933 , P 85 .

١١٥ – ينظر إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٢ ، ص ١٧٨ .

١١٦ – المصدر نفسه ، ص ٢١٤ .

١١٧ – المصدر نفسه ، ص ٢٩٠ .

١١٨ – المصدر نفسه ، ص ٢٨٢ .

١١٩ – المصدر نفسه ، ص ٢٨٣ .

١٢٠ – المصدر نفسه ، ص ٢٨٤ .

١٢١ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ٢٥٣ – كذلك بينوا أن أهل الملة السريانية يقتل بعضهم بعضاً كالنسطورية واليعقوبية ، ونظير هذا موجود عند الصابئة – المصدر نفسه ، ص ١٦١ .

١٢٢ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٢ ، ص ٢٨٦ .

١٢٣ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ١٦١ . وحقيقة لابد منها هي إنهم نقدوا تصارع هذه الفرق ودعوا الى توحيدها إلا إنهم أكدوا في موضع آخر أهمية الاختلاف بالديانات والمذاهب ، وهكذا أمر غير مستغرب صدوره منهم ، فهم يثبتون حقيقة في رسالة ويرفضونها بأخرى ، وهذا على ما يبدو أحد الأسباب التي أبعدت بعض الباحثين من التعامل معهم . ينظر رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ٤٨٤ – ٤٨٥ – ٤٩٠ – ٤٩١ .

١٢٤ – المصدر نفسه ، ص ٥٣٥ ولمزيد من التفصيل ينظر ، ص ٥٣٦ – ٥٣٧ – وحول موضوع الجزء الذي لا يتجزأ يراجع ، ص ٤٦٨ – ٤٦٩ .

١٢٥ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٣ ، ص ٥٢٣ – نقدوا السبعية والخدمية أيضاً – المصدر نفسه ، ص ١٨٠ .

١٢٦ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٢ ، ص ٢٢٦ .

١٢٧ – المصدر نفسه ، ص ٣٣٥ .

١٢٨ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٢ ، ص ٢٤١ – ٢٤٢ .

١٢٩ – المصدر نفسه ، ص ٢٤٧ .

١٣٠ – نيقولا ماكيا فيلي ، الأمير ، ترجمة محمد لطفي جمعة ، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بلا تاريخ ، ص ١٢٤ – ١٢٥ .

١٣١ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ ٢ ، ص ٣٤٠ – ٣٤١ .

١٣٢ – المصدر نفسه ، ص٣٦١ .

١٣٣ – المصدر نفسه ، ص٣٥٠ – ٣٥١ .

١٣٤ – المصدر نفسه ، ص٣٦٨ – ٣٦٩ .

١٣٥ – المصدر نفسه ، ص٣٦٤ – ٣٦٥ .

١٣٦ – المصدر نفسه ، ص٢٤٣ .

١٣٧ – المصدر نفسه ، ص٣٦٠ – ٣٦١ .

١٣٨ – ينظر مثلاً د . فؤاد معصوم ، مصدر سابق ، من ص٣٧ الى ص٤٠ – كذلك د . يوحنا قمير ، إخوان الصفاء ، ص٦ .

١٣٩ – د . جبور عبد النور ، إخوان الصفاء ، ص٥ – كذلك د . موسى الموسوي ، من الكندي الى ابن رشد ، منشورات عويدات في باريس وبيروت ، ط٣ ، ١٩٨٢ ، ص١٠٨ .

١٤٠ – د . فؤاد معصوم ، مصدر سابق ، ص٢٥ .

١٤١ – د . جبور عبد النور المصدر السابق ، ص٦ – ينظر حول تفشي الرشوة د . فؤاد معصوم ، المصدر السابق ، ص٣١ كذلك ينظر حول اضطراب الوضع اقتصادياً ودينياً – ابي الحسن علي بن ابي الكرم ، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين المتوفى سنة ٦٣٠هـ ، الكامل في التاريخ ، تصحيح الشيخ عبد الوهاب النجار ، إدارة الطبعة المنيرية ، لصاحبها ومديرها محمد منير الدمشقي ، ١٣٥٣هـ ، جـ٦ ، ص٢٠٦ – ٢٠٧ وما دمنا بصدد ذكر الخليفة المقتدر – نود القول انه خلع سنة ٣١٧هـ وتم مبايعة اخوة القاهر بالله محمد بن المعتضد فيبقى يومين ثم يعاد المقتدر الى منصبه وبعد ثلاث سنوات أي سنة ٣٢٠هـ يقتل المقتدر اشد قتلة . ينظر ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ٦ ، ص٢٠٠ – ٢٠١ كذلك ص٣٢٠ – ٣٢١ .

١٤٢ – د . فؤاد معصوم ، مصدر سابق ، ص٢٣ .

١٤٣ – ينظر د . فؤاد معصوم ، المصدر نفسه من ص٣٣ الى ص٣٦ – وحول تدهور الوضع الاجتماعي ، ينظر من ص٢٥ الى ص٣٣ .

١٤٤ – ينظر د . جبور عبد النور ، المصدر السابق ، ص٦ – ٧ كذلك د . موسى الموسوي ، المصدر السابق ، ص١٠٩ – ١١٠ – ينظر كذلك حول ظهور الإخوان في البصرة زمن البويهيين ، الأستاذ .ت . ج . دي بور ، تاريخ الفلسفة في الإسلام ، نقلة الى العربية ، محمد عبد الهادي ابو ربدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص٩٧ – ٩٨ .١٠١- كذلك د . ماجد فخري ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص٢٢٦ .

١٤٥ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ٤ ، ص٢٦٩ – ٢٧٠ .

١٤٦ – المصدر نفسه ، ص١٩٥ – ١٩٦ .

١٤٧ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ٢ ، ص٢٩٠ .

١٤٨ – ينظر إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ١ ، ص١٨١ – ١٨٢ – كذلك جـ٤ ، ص١٨٦ – ١٨٧

١٤٩ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ٤ ، ص١٦٧ – ١٦٨ .

١٥٠ – المصدر نفسه ، ص٤١ .

١٥١ – هنري كوربان ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص٢٢٢ .

١٥٢ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ٤ ، ص١٦٦ .

١٥٣ – إخوان الصفاء ، رسائل اخوان الصفاء ، جـ٢ ، ص٣٧٧ .

١٥٤ – الحكيم المجريطي ، الرسالة الجامعة ، تحقيق وتقديم جميل صليبا ، مطبعة الترقي دمشق ، ١٩٤٩ ، جـ٢ ، ص٣٩٦ . وهذه الرسالة منسوبة للمجريطي ، ويقابلها رسالة أخرى هي الرسالة الجامعة المنسوبة للإمام المستور احمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، تحقيق وتقديم مصطفى غالب ، دار صادر بيروت ، ١٩٧٤ .

١٥٥ – لا يعرف محتوى هذه الكتب الأربع التي ذكروها وهي غير موجودة في رسائلهم .

١٥٦ – يراجع حول مهام رئيس المجلس ، المجريطي ، الرسالة الجامعة ، جـ٢ ، ص٣٩٧ – ٣٩٨ – ٣٩٩ – اما الذي لم ينجح بالامتحان فينصحونه باللين والرفق ، فان بقى على حاله فليس على الرسول الا البلاغ المبين – المصدر نفسه ، ص٤٠٠ – ٤٠١

١٥٧ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ٤ ـ ص١٥١

١٥٨ – قسم الإخوان القرابين الى شرعية ومفادها ذبح الحيوانات كقرابين ، اما الفلسفة فقربانها التضحية بالنفس الإنسانية ، وأعلنوا إنهم جمعوا بين خصال القربان الشرعي والفلسفي – ينظر رسائل إخوان الصفاء ، جـ٤ ، ص٢٧٠ – ٢٧١

١٥٩ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ٤ ، ص١٦٥ – ١٦٦ . وعرف عن الإخوان إنهم لا يستعينون بأحد من إخوانهم ما لم يقدموا له هم المعونة – ينظر المصدر نفسه ، ص١٦٧ .

١٦٠ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء ، جـ٤ ، ص١٨٩ – ١٩٠ .

١٦١ – المصدر نفسه ، ص١٨٨ – ١٨٩ .

١٦٢ – عمر فروخ ، تاريخ الفكر العربي الى أيام ابن خلدون ، ص٣٧٨ – ٣٧٩ – كذلك د . ماجد فخري ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص٢٢٦ .

١٦٣ – ينظر د . فؤاد معصوم ، مصدر سابق ، ص٢٤ – كذلك ابن الأثير – الكامل في التاريخ ، جـ٨ ، ص١٤٩ .

١٦٤ – ينظر إدريس عماد الدين القريشي ، عيون الأخبار وفنون الآثار – السبع الرابع ، تحقيق مصطفى غالب ، دار التراث الفاطمي ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص٣٦٧ – ٣٦٨ – كذلك الرسالة الجامعة ، للإمام المستور احمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، تحقيق مصطفى غالب، ص٧ .

١٦٥ – ينظر خمس رسائل إسماعيلية ، تحقيق عارف تامر ، منشورات دار الإنصاف للطباعة والنشر سلمية ، سوريا . ١٩٥٦ – ص٧٢ .

المصادر والمراجع

أولاً : العربية

– القرآن الكريم

– أنجيل يوحنا

١ – احمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، الإمام المستور ، الرسالة الجامعة ، تحقيق وتقديم مصطفى غالب ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٤ .

٢ – إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء ، تقديم بطرس البستاني ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٤ .

٣ – أرسطوطاليس ، علم الأخلاق الى نيقو ماخوس ، ترجمة اسحق بن حنين ، حققه وقدم له ، د . عبد الرحمن بدوي ، الناشر وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط ١ ، ١٩٧٩ .

٤ – أرسطو ، السياسات ، نقله من الأصل اليوناني وعلق عليه الأب أوغسطينس بربارة البولسي ، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية ، بيروت ، ١٩٥٧ .

٥ – أفلاطون ، الضروري في السياسة مختصر السياسة ، نقله عن العبرية الى العربية د . احمد شحلان مع مدخل ومقدمة تحليلية وشرح د . محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨ .

٦ – أفلاطون ، كتاب الجمهورية ، نقلها الى العربية حنا خباز ، دار القلم ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٠ .

٧ – اوليري ، مسالك الثقافة الإغريقية الى العرب ، ترجمة د . تمام حسّان ، مكتبة الانجلو المصرية ، بلا تاريخ .

٨ – بدوي ، د . عبد الرحمن ، التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني ، الناشر الشعشاع ، طهران ، ط ٣ ، ٢٠٠٨ .

٩ – بدوي ، د . عبد الرحمن ، موسوعة الفلسفة ، مطبعة سليمان زادة ، منشورات ذوي القربى ، إيران ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ .

١٠ – التوحيدي ، أبو حيان ، المقابسات ، تحقيق وشرح حسن السندوبي ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، ط ١ ، ١٩٢٩ .

١١ – التوحيدي ، أبو حيان ، الإمتاع والمؤانسة ، اعتنى به وعلق عليه محمد الفاضلي ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٩ .

١٢ – ابن الأثير الجزري ، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الملقب بعز الدين المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ، الكامل في التاريخ ، تصحيح الشيخ عبد الوهاب النجار، إدارة الطبعة المنيرية ، لصاحبها ومديرها محمد منير الدمشقي ، ١٣٥٣ هـ .

١٣ – الجابري ، د . علي حسين ، فلسفة التاريخ في الفكر العربي المعاصر ، جدلية الأصالة والمعاصرة، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٣ .
١٤ – خمس رسائل إسماعيلية ، تحقيق عارف تامر ، منشورات دار الإنصاف للطباعة والنشر ، سلمية سوريا ، ١٩٥٦ .
١٥ – دي بور ، الأستاذ ت – ج ، تاريخ الفلسفة في الإسلام ، نقله الى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٨ .
١٦ – ديناني ، د . غلام حسين إبراهيم ، حركة الفكر الفلسفي في العالم الإسلامي ، تعريب عبد الرحمن العلوي ، دار الهادي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١ .
١٧ – شتراوس ، ليو – وجوزيف كروبسي ، تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكيديس حتى اسبينوزا ، ترجمة محمود سيد احمد ، مراجعة وتقديم إمام عبد الفتاح ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، ٢٠٠٥ .
١٨ – الشهرستاني ، الإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم المتوفى (٥٤٨ هـ) ، الملل والنحل ، تصحيح وتعليق الأستاذ احمد فهمي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٧ ، ٢٠٠٧ .
١٩ – صالح ، د . محمد غانم ، الفكر السياسي القديم ، جامعة بغداد ، كلية القانون والسياسة ، ١٩٨٠ .
٢٠ – طرابيشي ، جورج ، معجم الفلاسفة ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٧ .
٢١ – طاهر ، علي هادي ، المعرفة والتربية والتعليم عند إخوان الصفاء ، رسالة ماجستير ، مخطوط في مكتبة قسم الفلسفة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢ .
٢٢ – عبد الرازق ، مصطفى ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٦٦ .
٢٣ – عبد الفتاح ، إمام ، الأخلاق والسياسة دراسة في فلسفة الحكم ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، ٢٠٠١ .
٢٤ – عبد النور ، د . جبور ، إخوان الصفاء ، دار المعارف ، مصر ، ط ٣ ، ١٩٧٠ .
٢٥ – عبد النور ، د . جبور ، معالم الوثنية في رسائل إخوان الصفاء ، مجلة الكاتب المصري ، العدد ٢١ يوليو – المجلد السادس .
٢٦ – الغزالي ، حجة الإسلام أبي حامد ، المنقذ من الضلال والموصل الى ذي العزة والجلال ، تحقيق وتقديم ، الدكتوران جميل صليبا ، وكامل عياد ، دار الأندلس ، بيروت ، ط ٧ ، ١٩٦٧ .
٢٧ – فادية ، ميشيل ، الأيديولوجية – وثائق من الأصول الفلسفية ، ترجمة أمنية رشيد ، سيد البحراوي ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ٦ ، ٢٠٠٦ .
٢٨ – الفارابي ، أبو نصر ، آراء أهل المدينة الفاضلة ، تقديم وشرح إبراهيم جزيني ، دار القاموس الحديث ، بيروت ، بلا تاريخ .

٢٩ – فخري ، د . ماجد ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، وضعه مؤلفه بالانكليزية ، نقله الى العربية ، د . كمال اليازجي ، الجامعة الأمريكية ، بيروت ، ١٩٧٤ .

٣٠ –فروّخ د . عمر ، تاريخ الفكر العربي الى أيام ابن خلدون ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨٣.

٣١ – القريشي ، إدريس عماد الدين ، عيون الأخبار وفنون الآثار ، السبع الرابع ، تحقيق مصطفى غالب ، دار التراث الفاطمي ، بيروت ، ١٩٧٣ .

٣٢ – القفطي ، جمال الدين علي بن يوسف ، تاريخ الحكماء ، مؤسسة الخانجي ، مصر ، مكتبة المثنى ، بغداد ، بلا تاريخ .

٣٣ – قمير ، يوحنا ، إخوان الصفاء ، دار المشرق ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٦ .

٣٤ – كرم ، يوسف ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد ، بلا تاريخ .

٣٥ – كرم ، يوسف ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٢ .

٣٦ – كانت ، عمانوئيل ، المبادئ الأساسية لميتافيزيقا الأخلاق ، نقله الى العربية ، حكمة حمصي ، قدم له د . عادل العوا ، دمشق ، ١٩٦١ .

٣٧ – كوربان ، هنري ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ترجمة نصير مروة ، حسن قبيسي ، مراجعة وتقديم الإمام موسى الصدر ، والأمير عارف تامر ، عويدات للنشر والطباعة ، بيروت ، ٢٠٠٤ .

٣٨ – المجريطي ، الحكيم ، الرسالة الجامعة ، تحقيق وتقديم جميل صليبا ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٤٩ .

٣٩ – معصوم ، د . فؤاد ، إخوان الصفاء فلسفتهم وغايتهم ، دار المدى للثقافة والنشر في دمشق وبيروت ، ط ١ ، ١٩٨٨ .

٤٠ – الملاح ، د . هاشم يحيى ، دراسات في فلسفة التاريخ ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٨٠ .

٤١ – موسوعة السياسة ، أسسها د . عبد الوهاب الكيالي ، مدير التحرير ماجد نعمة ، شارك بالتحرير د . محمد بشير الكافي وآخرون ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، بلا تاريخ .

٤٢ – الموسوي ، د . موسى ، من الكندي الى ابن رشد ، منشورات عويدات في باريس وبيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٢ .

٤٣ – النشار ، علي سامي ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، دار المعارف ، مصر ، ط ٢ ، ١٩٦٤ .

٤٤ – هنتغتون ، صموئيل . ب –صِدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي ، ترجمة د . مالك أبو شهيوة ، د . محمود مخلف خلف ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ليبيا ، ط ١ ، ١٩٩٩ .

٤٥ – وولف ، فرانسيس ، أرسطو والسياسة ، ترجمة أسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٤ .
٤٦ – اليزدي ، الأستاذ محمد تقي مصباح ، محاضرات في الأيديولوجية المقارنة ، ترجمه الى العربية محمد عبد المنعم الخاقاني ، سلمان الفارسي قم ، الناشر منظمة الأعلام الإسلامي ، قسم العلاقات الدولية ، ط ٢ ، بلا تاريخ .

ثانياً : المصادر الأجنبية

47 – David Bray Brooke , Ideology , Article in Encyclopedia of philosophy , Paul Edwards , editor in chief , Macmillan Publishing , New York , 1967 .
48 – FazluR Rahman , Islamic Philosophy , Article in Encyclopedia of Philosophy , Paul Edwards , editor in chief , Macmillan publishing , New York , 1967
49 – Plato , states man , The Dialogues of Plato , Translated by Benjamin Jowett , Encyclopedia Britannica , 1952 .
50 – Plato , Lysis or Friend ship , The Dialogues of Plato , in Great Books of the western world , Translated by Benjamin dowett – William Benton publisher , Encyclopedia Britannica , 1952 .
51 – The works of Aristotle , in Great books of the western world , Translated by Benjamin dowett , William Benton Publisher , Encyclopedia Britannica , 1952 .
52 – T – J – De Bore , The History of Philosophy in Islam , Translated by – Edward – R – Jones – cosmo Publications , New Delhi , 1933 .